



سلسلة كتب إسلامية غير دورية ، تخاطب غير المسلمين ؛
والمسلمين الجدد ، والدعاة المهتمين بدعوة الفريقين .
وتهدف إلى :

- ١- تجلية حقائق الإسلام الغائبة أو المشوهة في نظر غير المسلمين ، ودفع شبهات وأباطيل خصومه .
- ٢- تثبيت الإيمان في قلوب حديثي العهد بالإسلام ، وترشيدهم .
- ٣- تحطيم الحواجز النفسية والفكرية التي تكبل العقول الحرة ، وتحول بينها وبين الإسلام ، والتي صنعها :
أ- أعداء الإسلام المتعصبون من خلال إعلامهم وكتاباتهم .
ب- أتباع الإسلام الجاهلون الذين حجبوا نور الإسلام بسوء سلوكهم أو بانحراف أفكارهم ، فصدّوا عن سبيل الله عز وجل .
- ٤- توضيح منهج الفرقة الناجية «أهل السنة والجماعة» ، لإنقاذ الداخلين في الإسلام من براثن البدع والشقاق .



الله
لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن
ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل
أبتعتنا الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه .
رَبِّي بِنِ عَامِر ، رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ

البشري

أذاعت وكالة (C.N.N.) الأمريكية من
(سان فرانسيسكو) الخبر التالي :
(على مدى ست سنوات كاملة من البحث
والتحقيق قام فريق يتكون من مائتي باحث
بفحص حقيقة نسبة الأقوال المنسوبة إلى المسيح
في الإنجيل ، وقد أعلن مؤتمر المسيح (Jesus
Seminar) أخيراً النتيجة التي توصل إليها
الفريق وهي :

« أنه من بين ألف وخمسمائة مقولة
منسوبة إلى المسيح في الإنجيل ، لا يصح أن
ينسب إليه سوى إحدى وثلاثين مقولة » وقد
استعان الباحثون بكتب المكتبات المصرية
القديمة ، وكتب = يتبع ص (٢)

المحتوى

الموضوع	الصفحة
بسم الله : الحياة بغير الله سراب .. ٢	
موعظة جبريل عليه السلام ٣	
شاهد من أهلها : شكراً للإسلام! .. ٤	
حسن الخلق مفتاح القلوب ٦	
موضوع العدد : نظرة في تاريخ العقيدة ٩	
أدلة صدق النبوة :	
الفارقليط هو أحمد ٢٢	
بداية الهداية : قصة إسلام عبد الله	
الترجمان الميورقي ٣٥	
لماذا هرب نابليون ؟ ٤٣	
أخلاق النصر عند المسلمين ٤٤	
حديث الذكريات	
ورجع يجر أذيال الخيبة! ٤٧	
لم يبصره ، ولم يكلمه ، ولكن هداه! ٤٨	

كتاب بريد الإسلام

سلسلة كتب غير دورية تهدف إلى تبليغ رسالة الإسلام ، وتخطب:
غير المسلمين والمسلمين الجدد ، والمعنيين بدعوة الفريقين .
توزعها : دار الإيمان - ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل
الإسكندرية - ج . م . ع . - ت : ٥٤٥٧٦٩ .



تَزَوَّدْ فَإِنَّ التَّقَى خَيْرُ زَادٍ

د . عمر سليمان الأشقر

والطريق طويل ، والعقبات كُثُر ، فتزود
لآخرتك من دنياك ، ولا يلهينك عن
غايته فُتَاتُ الطريق ، وبريق الشهوات ،
وبهرج المال ، وحلاوة العيش ، فإن ذلك لن
يسدوم ﴿ قل متاع الدنيا قليل ﴾ .

يا أخي ! تزود بتقوي الله فإنه زاد
سيغلو ثمنه ، وترتفع سوقه ، ويربح
طالبه ، تزود بطاعة الله ففي هذا النجاء ،
تزود بالإخلاص لله ففي هذا الغناء
﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون
يا أولي الألباب ﴾ .

يا أخي ! لا ألفتينك وقد انقضت
حياتك ، وحان حِينُك ، وولت عنك الدنيا
مدبرة ، ونظرت إلي ماضي أيامك فإذا بك
تشاهد ماضياً أليماً ، وأياماً سوداء قاتمة ،
قضيتها في عصيان رب العالمين ، وقد
خدعك من الحياة مظهرها وزخرفها عن
حقيقة الحياة وغايتها ، فعند ذلك تقول
باكياً حين تبلغ الروح الحلقوم ، والناس
إليك ينظرون : « رَبِّ أَمْهَلُون ، وإلي
الدنيا ارجعون ، لعلني أعمل صالحاً فيما
تركت » ، فيقال لك : « كلا ، فقد
انتهت الحياة ، ومضت فترة الاختبار » .

يا أخي إن للعمر أيامه ، وللحياة
نهايتها ، ولا ندري متى تنقضي أيام
العمر ، ومتى تبلغ الحياة غايتها ،
ولكنني أدري أن ذلك لن يطول ، فكيف
بك وقد بلغت من الحياة النهاية ، وانتقلت
منها إلي حياتك الأخرى ، أتراك ستنتقل
من هذه الحياة إلي حياة أفضل منها ؟ أم
إلي حياة شقية تعيسة ؟

يا أخي ! إن الموت حقيقة لا يُكابر
فيها مكابر ، ولا يجادل فيها ذوعقل ،
لأن الموت مشاهد مكرور ، ولكن الناس
غافلون أو متغافلون عنها ، ومع ذلك
فكل حي سبيله الموت والرحيل عن هذه
الحياة ، تاركاً ما خَوَّلَهُ اللهُ خَلْفَ ظهره
من أهل ومال ونعيم ، وأهله هم الذين
سيوارونه التراب بعد أن خمدت فيه
الحياة .

يا أخي ! لو كان الخلد أُعْطِيَ لبشر
من بني آدم في هذه الحياة لأُعْطِيَ لسيد
ولد آدم محمد بن عبد الله ﷺ ، ولكن
قضاء الله نافذ لا يردُّ حتبي في رسوله
الكريم ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ .

يا أخي ! نحن قوم مسافرون ،

إعداد : أبي الفرج بن أحمد

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يَغْضُ كُلَّ جَعْظَرِي جَوَاطٍ ، سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ ، جِيفَةٍ بِاللَّيْلِ ،
حِمَارٍ بِالنَّهَارِ ، عَالِمٍ بِأَمْرِ الدُّنْيَا ، جَاهِلٍ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ » ، رواه ابن حبان في « صحيحه » .
الجعظري : الفظ الغليظ المتكبر ، وقيل : هو الذي ينتفخ بما ليس عنده .

الجواظ : الجَمُوعُ المَنوع ، وقيل : الكثير اللحم ، المُخْتَالُ في مِشِيته .

السخاب : السَّخْبُ والصَّخْبُ بمعنى الصياح ، فالسخاب هو كثير الضجيج والخصام ، قال ابن الأثير
رحمه الله : (وفي حديث المنافقين : « خُسْبٌ بِاللَّيْلِ ، سُخْبٌ بِالنَّهَارِ » ، أي إذا جنَّ عليهم
الليل سقطوا نياماً كأنهم خُسْبٌ ، فإذا أصبحوا تساخبوا علي الدنيا شخاً وحرصاً) اهـ .

جيفة : أي كالجيفة ، لأنه يعمل كالحمار طوال النهار لدنياه ، وينام طوال الليل كالجيفة التي
لا تتحرك .

* * *

ألا ما أشد انطباق هذا الحديث علي هؤلاء الكفار الذين لا يهتمون لآخرتهم ، مع علمهم بأمور
دنياهم ، وفرحهم بما عندهم منه ، كما قال تعالى فيهم : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ
الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ ، وقال : ﴿ فَأَعْرَضَ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ
الْعِلْمِ ﴾ ، فهم يجتهدون في العلم بأمور دنياهم ، ويمعنون في تحصيلها ، مع جهلهم التام بأشرف
العلوم ، وهي علوم الآخرة التي هي شرف لازم لا يزول ، دائم لا يَمَلُ ، فجدير بمن يستبدل الذي
هو أدني بالذي هو خير أن يبغضه الله ، ويمتته لشقاوته وإدباره ، فالله سبحانه وتعالى كرمهم
بنعمة العقل ، ويميزهم بها على العجاوات ، فسخرها أعظم تسخير في كل شئ من أغراض
الدنيا الخسيسة كالتأنيق في الشهوات والمأكول والملبس والترفيه ، إلا الشئ الذي خُلِقُوا مِنْ أجله ،
وهو عبادة الله وحده ، لا شريك له ، واتباع رسله عليهم الصلاة والسلام ، ولهذا قال تعالى في
حقهم : ﴿ وَمِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمِثْلِ الذِّى يَنْعَقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دَعَاءَ وَنداء ، صم بكم عمى فهم لا
يعقلون ﴾ ، وقال سبحانه : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ
سَبِيلًا ﴾ ، وقال جل وعلا : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَمْتَحِنُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ .

وقال عز من قائل في سورة الروم : « وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس » يعني الكفار « لا يعلمون » بحكمته تعالى ، في كونه وأفعاله المحكمة ، الجارية على وفق العدل ، لجهلهم وعدم تفكيرهم « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا » وهو ما يوافق شهواتهم وأهواءهم « وهم عن الآخرة » التي هي المطلب الأعلى « هم غافلون » أي لا يُخطرونها بباليهم ، فهم جاهلون بها ، تاركون لعملها .

وقوله سبحانه : « يعلمون » بدل من قوله « لا يعلمون » وفي هذا الإبدال من النكتة ، أنه أبدله منه ، وجعله بحيث يقوم مقامه ، ويسد مسدّه ، ليُعلمك أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل ، وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا .

« ظاهراً » يفيد أن للدنيا ظاهراً وباطناً ، فظاهرها : ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها ، والتنعم بملذذاتها ، وباطناتها ، وحقيقتها : أنها مجاز إلى الآخرة ، يُتزوّد منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة . وقيل : « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا » يعني أمر معاشهم ودنياهم : متي يزرعون؟ ومتي يحصدون؟ وكيف يغرسون؟ وكيف يبنون؟ وقيل : « هو بنيان قصورها ، وتشقيق أنهارها ، وغرس أشجارها » .

قال الحسن : « بلغ والله من علم أحدهم بالدنيا أنه ينقد الدرهم فيخبرك بوزنه ، ولا يحسن أن يصلي » ، وقال أبو بكر بن عياش : (مسكين محب الدنيا : يسقط منه درهم ، فيظل نهاره يقول : « إنا لله ، وإنا إليه راجعون » ، وينقص عمره ودينه ، ولا يحزن عليه) .

ومن البلية أن تري لك صاحباً
فطن بكل مصيبة في ماله
ولهذا كان في دعاء النبي ﷺ : « اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا » .

وصف سعد بن معاذ رضي الله عنه المشركين ، فقال :
« رأيت قوماً ليس لهم فضل علي أنعامهم ، لا يهمهم إلا ما يجعلونه
في بطونهم وعلي ظهورهم ، وأعجب منهم : قوم يعرفون ما جهل
أولئك ، ويشتهون كشهوتهم » .

لماذا يلحدون ؟

بقلم الفيلسوف الإنكليزي المعاصر
الدوس هكسلي (١)

السينما ، فيهشون ، وكأن ذلك مسلاة لهم كصراع الثيران ..

ثم يقول في فصل آخر : (ليس الإله هو إله النصاري المجسمة ، بل هو الإله المنزه عن التجسم ، الواحد الأحد) ويشرح هذا شرحاً مطولاً ، ثم يقول :

(ليس هناك إلحاد ، وإنما هنالك إيمان بآلهة مزيفة .. الإلحاد ليس أمراً معقولاً أبداً ؛ وإنما هو نتيجة لأسباب عارضة) (٣) ثم يذكر سببين كبيرين للإلحاد :

(أولهما : الشهوات ، أي الانطلاق مع الغريزة الجنسية ، إذ يدفع أهلها إلى أن يشعروا بهم يمارسون فجورهم وفسقهم براحة

(إن الغرب ليس متقدماً ، بل هو متقهقر منحط ، وتقهقره هو نتيجة ابتعاده عن التوحيد (٢) ، فإن أوروبا منيت بوثنية جديدة ، فهي تعبد الأصنام ، وقد اخترعت أصناماً جديدة كالوطنية والقومية والجماهير والعقل والعلم وما إلى ذلك ، فهذه هي آلهة الغرب ..

إن التقدم ليس بتقدم الآلة ، التقدم بالبر والإحسان ، أوبالتقوي والأخلاق ، وأوروبا ليس عندها أخلاق ، لأنها تضطهد وتعذب البشر تعذيباً وحشياً ، بل إن الغربيين لا تتحرك ضمائرهم عندما يجدون إنساناً يعذب ويمثل بإنسان آخر ؛ بل ينظرون ويشاهدون ذلك في فيلم في

(١) وهذا الكاتب ليس بمسلم ، وهذه الفقرات مختصرة من كتابه : « الغايات والوسائل » نقلاً من « النظرة الإسلامية إلى الكون والإنسان والحياة » للأستاذ محمد المبارك رحمه الله .

(٢) وهذه الكلمة (التوحيد) مترجمة ترجمة حرفية .

(٣) كأنه لم يبق بين الكاتب وبين سعادة الأبد سوي خطوة واحدة يخطوها إلى الأمام نحو الملة الحنيفية ، بأن ينطق شهادة الحق معتقداً معناها ، وتأمل - رحمك الله - شدة اقترابه من بعض حقائق عقيدة التوحيد الأساسية ، كرفضه عقيدة النصاري المجسمة ، وإثباته أن التوحيد هو الأصل ، وأن الشرك طارئ على الفطرة البشرية السوية ، ثم تأمل ربطه بين التوحيد وبين ثمرته الأخلاقية في قوله : « إن أوروبا متأخرة أخلاقياً لابتعادها عن التوحيد » اهـ .

فالحمد لله الذي أكمل لنا ديننا ، وأتم علينا نعمته ، ورضي لنا الإسلام ديناً .



موضوع الخط

دل القرآن العظيم علي أن العمل الذي ينفع العبد هو العمل الصالح ، وأن العمل الصالح هو ما استكمل ثلاثة شروط :

الأول : موافقته لما جاء به النبي ﷺ ، لقوله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ الآية (الحشر: ٧) ، ولقوله ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » رواه البخاري ومسلم .

الثاني : أن يكون خالصاً لله تعالى ، لقوله عز وجل : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ﴾ الآية (البينة : ٥) وقوله جل وعلا : ﴿ قل الله أعبد مخلصاً له ديني ﴾ (الزمر: ١٤) ، ولقوله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات » الحديث متفق عليه .

الثالث : أن يكون مبنياً علي أساس العقيدة الصحيحة ، لأن الله سبحانه يقول : ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ﴾ الآية (النحل : ٩٧) ، فقيّد ذلك بالإيمان ، ومفهومه : أنه لو كان غير مؤمن لما قبل منه ذلك العمل الصالح .

وكذا قوله تعالى : ﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان

وبالآلارقابة عليهم ، حينما يكونون مؤمنين بالله يشعرون بنوع من الألم والتمزق (١) ، حينئذ لا يجدون سبيلاً إلي راحة ضميرهم وهم يرتكبون هذه الآثام إلا بطريقة واحدة ، وهي أن يطردوا هذا الإيمان ، فيكفرون بالله ، ويلحدون ليستبيحوا هذه الأنواع من الفجور (٢) .

(السبب الآخر العارض : الدكتاتورية والاستبداد ، لأن هذا الرئيس المستبد يجد

(١) أليس هذا مصداق قول الصادق المصدوق ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » رواه الشيخان .

وقوله ﷺ : « إذا زني العبد خرج منه الإيمان ، فكان علي رأسه كالظلة ، فإذا أقبل رجع إليه » رواه أبو داود وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي .

(٢) أليس هذا هو نفس المعني الذي تضمنه قول الله جل وعلا : ﴿ لا أقسم بيوم القيامة * ولا أقسم بالنفس اللوامة * أياحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه * بلى قادرين على أن نسوي بنانه * بل يريد الإنسان ليفجر أمامه * يسأل أيان يوم القيامة ﴾ .

قال الفراء : (ليس من نفس محسنة أو مسينة إلا وهي تلوم نفسها : فالمحسن يلوم نفسه أن لو كان ازداد إحساناً والمسيئ يلوم نفسه ألا يكون ارعوي عن إساءته) ، وقال ابن عباس في تفسير : « بل يريد الإنسان ليفجر أمامه » : (يعني الكافر يُكذّب بما أمامه من البعث والحساب) ، وقال الضحاك : (هو الأمل ، يقول : سوف أعيش ، وأصيب من الدنيا ، ولا يذكر الموت) .

(٣) أليس هذا هو نفس ما تضمنته سورة القصص وغيرها من السور التي تشير إلي تأله فرعون القاتل : « ما علمت لكم من إله غيري » والقاتل : « ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد » ، والقاتل : « أنا ربكم الأعلى » ، ومن ثم سمي بعضهم سورة القصص سورة التحرير ، تحرير الإنسان من العبودية لغير الله عز وجل .

أعمال الكافر .. هل تنفعه ؟

سعيهم مشكوراً (الإسراء : ١٩) .

وقوله جل علا : ﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً ﴾ (النساء : ٢٤) وقوله سبحانه : ﴿ من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾ (غافر : ٤٠) ، ومفهوم هذه الآيات : أن غير المؤمن إذا أطاع الله بإخلاص لا ينفعه ذلك ، لفقد شرط القبول الذي هو الإيمان بالله جل وعلا .

وقد أوضح الله سبحانه وتعالى هذا المفهوم في آيات أخر ، كقوله في أعمال غير المؤمنين : ﴿ وقدمنا إلي ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ﴾ (الفرقان : ٢٣) .

وقوله سبحانه : ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرّون مما كسبوا على شيء ﴾ (إبراهيم : ١٨) وقوله عز وجل ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ﴾ (النور: ٣٩) وقوله جل وعلا

حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب» (الشوري : ٢٠) .

وثبت عن النبي ﷺ نحو ما جاءت به هذه الآيات من انتفاع الكافر بعمله في الدنيا، وذلك فيما رواه أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة ، يُعطي بها في الدنيا، ويُجزى بها في الآخرة ، وأما الكافر فيُطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتي إذا أفضي إلي الآخرة لم تكن له حسنة يُجزى بها » رواه مسلم وغيره .

وعنه أيضاً رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن الكافر إذا عمل حسنة أطمع بها طعمة من الدنيا ، وأما المؤمن فإن الله يَدْخُرُ له حسناته في الآخرة، ويُعقبه رزقاً في الدنيا علي طاعته » رواه مسلم . واعلم - وفقك الله - أن انتفاع الكافر بالعمل الصالح مقيد بمشيئة الله عز وجل كما نص علي ذلك بقوله جل وعلا : « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد » الآية (الإسراء : ١٨) فهذه الآية الكريمة مقيدة لما سبق ذكره من الآيات والأحاديث .

«أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم» (الأحزاب : ١٩) ، وقوله سبحانه : « لن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين » (الزمر : ٦٥) ، وقوله تعالى : « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » (البقرة : ٢١٧) .

الدنيا جنة الكافر

وقد بين الله عز وجل في آيات أخر أن عمل الكافر الذي يتقرب به إلي الله - كبر الوالدين ، وصلة الرحم ، وإكرام الضيف ، وحسن الجوار ، وصدق الحديث ، والوفاء بالعهد ، والتنفيس عن المكروب ونحو ذلك - فهو إنما يجازي به في الدنيا، ولا حظ له منه في الآخرة ، كقوله سبحانه : « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون » (هود : ١٥ - ١٦) ، وكقوله عز وجل : « من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد

الكفار مستولون عن فروع الشريعة

واعلم - وفقك الله - أن الكفار مخاطبون بفروع الإسلام ، مستولون عن تكاليف الشرع ، كالصلاة والصوم والزكاة والحج، ولكنها لا تصح منهم إذا فعلوها إلا بالدخول في الإسلام أولاً ، فالإسلام شرط لصحة هذه التكاليف ، كالمحدث يخاطب بالصلاة ، وبما لا تصح الصلاة إلا به كالطهارة ، من باب : « ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب » ، وكلمة التوحيد أعلي شعب الإيمان، وهي شرط في صحة باقيها . أما الأدلة علي أن الكفار مستولون عن فروع الشريعة : فمنها قوله تعالى : « ما سلحكم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين » الآيات (المائدة : ٤٢) ، وفيها التصريح بأن من الأسباب التي سلكتهم في سقر عدم إطعام المسكين ، وهو من فروع الشريعة .

ومنها قوله عز وجل « خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعا سبعون ذراعاً فاسلكوه » (الحاقة : ٣٢) ، ثم بين السبب فقال عز من قائل : « إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض علي طعام المسكين » الآية (الحاقة : ٣٤) .

ومنها قوله سبحانه : « والذين لا يدعون

مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق » إلي قوله : « يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً » الآية (الفرقان : ٦٩) .

لأن الآية نص في مضاعفة العذاب في حق من جمع بين المحظورات فإن قيل : كيف يكون الكفار مخاطبين بفروع الإسلام في حين أنهم لا يُكَلَّفون بقضائها بعد إسلامهم ؟

فالجواب : ما قاله رسول الله ﷺ : « الإسلام يَجِبُ - وفي رواية : يهدم - ما كان قبله » رواه مسلم ، ومعني يجب : يقطع ، « ما كان قبله » من كفر وعصيان وما يترتب عليهما من حقوق الله عز وجل ، أما حقوق عباده فلا تسقط إجماعاً ، فمجرد الإسلام مكفر للسوابق من الكفر والخطايا ، فماذا عن حسنات الكافر السابقة ؟

حسنات الكافر موقوفة

صح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أسلم العبد فحسن إسلامه كتب الله له كل حسنة كان أسلفها ، ومحيت عنه كل سيئة كان أزلها ، ثم كان بعد ذلك القصاص ، الحسنة بعشر أمثالها إلي سبعمائة ضعف ، والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها » رواه البخاري معلقاً والنسائي .

ولا هم ينظرون» (البقرة : ١٦١) .

كذلك ينبغي أن نفهم قوله ﷺ :
« الإسلام يَجِبُ ما كان قبله » علي أن
الإسلام يهدم ما قبله من الخطايا ، فهو
وارد في السيئات السابقة ، وأما الحسنات
السابقة فقد دلت عدة أحاديث علي نفس
مادل عليه حديث أبي سعيد السابق من
أن الكافر إذا أسلم نفعه عمله الصالح
في الجاهلية ، بخلاف ما إذا مات علي
كفره ، فإنه لا ينفعه ، بل يحبط
بكفره (*) : منها : مارواه حكيم بن حزام
رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ :
« أي رسول الله أرايت أمورا كنت أتحنت
بها في الجاهلية من صدقة أو عتاقة أو
صلة رحم ، أفيها أجر ؟ فقال رسول الله
ﷺ : « أسلمت علي ما أسلفت من خير »
أخرجه البخاري ، ومسلم .

وعن أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق
رضي الله عنهما قالت : قلت : « يا رسول
الله ابن جُذعان كان في الجاهلية يصل
الرحم ، ويطعم المساكين ، فهل ذلك
نافعه ؟ »

فقال ﷺ : « لا يا عائشة ، إنه لم يقل
يومًا : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين »
رواه مسلم وغيره .

وقد دلت بعض الأحاديث علي أن

(*) ولذلك قيل : « سيئة الموحد أفضل من حسنة المشرك ، وسيئة المسلم تغفر ، وحسنة الكافر لا تقبل »

هناك أعمالا ينتفع المؤمن بها حتي وهو
بين أطباق الثري منها :

مارواه أبو هريرة رضي الله عنه قال
رسول الله ﷺ : « إذا مات الإنسان انقطع
عنه عمله إلا من ثلاثة أشياء : إلا من
صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد
صالح يدعو له » رواه مسلم وغيره .

وعنه رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ
« إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته
بعد موته ، علمًا علّمه ونشره ، وولدًا
صالحًا تركه ، ومصحفًا ورثه ، أو مسجدًا
بناه ، أو بيتًا لابن السبيل بناه ، أو نهرًا
أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله في
صحته وحياته يلحقه من بعد موته » أخرجه
ابن ماجه بإسناد حسن ، وابن خزيمة
في « صحيحه » ، والبيهقي في سننه .

أما من مات علي الكفر فإن شؤم
كفره يحول دون وصول ثواب أي عمل له ،
فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما :
(أن العاص بن وائل السهمي أوصي أن
يعتق عنه مائة رقبة ، فأعتق ابنه هشام
خمسین رقبة ، وأراد ابنه عمرو أن يعتق
عنه الخمسين الباقية ، قال : حتي أسأل
رسول الله ﷺ ، فأتي النبي ﷺ ، فقال :
يا رسول الله إن أبي أوصي أن يُعتق عنه
مائة رقبة ، وإن هشامًا أعتق عنه خمسين ،
وبقيت عليه خمسون ، أفأعتق عنه ؟
فقال رسول الله ﷺ : « إنه لو كان

مسلمًا فأعتقتم ، أو تصدقتم عنه ، أو
حججتم عنه بلغه ذلك » وفي رواية
للإمام أحمد : « فلو كان أقر بالتوحيد
فصُمت وتصدقت عنه نفعه ذلك » حسن .
رواه أبو داود والبيهقي .

دل القرآن العظيم والسنة المشرفة علي
أن اليهودي أو النصراني إذا أسلم فإنه
يؤتي أجره مرتين ، أما القرآن فقوله
تعالى : « الذين آتيناهم الكتاب من
قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا
به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين
أولئك يؤتون أجرهم مرتين » (القصص :
٥٤) .

وأما السنة الشريفة :

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله
عنه قال رسول الله ﷺ :

(ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل
من أهل الكتاب آمن بنبيه ، وأدرك النبي
ﷺ فأمن به ، واتبعه ، وصدقته فله
أجران) الحديث متفق عليه .

وفيه بيان سبب مضاعفة أجره فأجر
لإيمانه بنبيه موسى أو عيسى عليهما
السلام ، وأجر لإيمانه بمحمد ﷺ ، وكذا
حكم الكتابية ، لأن النساء شقائق الرجال ،
كما هو مطرد في معظم أحكام الشريعة ،
حيث يدخلن مع الرجال تبعًا إلا ما خصه
الدليل .

وهذا الحديث الشريف يدل علي أن
حسنات الكافر موقوفة : إن أسلم تقبل ،
وتنفعه في الآخرة ، وإن بقي كافرًا حتي
مات تحبط ، وعلي هذا الأساس نفهم أن
قوله عز وجل : « والذين كفروا أعمالهم
كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتي إذا
جاءه لم يجده شيئًا » الآية (النور : ٣٩) ،
وقوله سبحانه : « وقدمنا إلى ما عملوا من
عمل فجعلناه هباءً منثورًا » (الفرقان :
٢٣) وقوله جل وعلا : « مثل الذين كفروا
بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في
يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء »
الآية (إبراهيم : ١٨) ، وقوله سبحانه :
« أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم »
(الأحزاب : ١٩) ونحوها إنما يقصد بها
من مات علي الكفر ، وختم له به والعياذ
بالله ، فإن الأعمال بالخواتيم ، وقد قال
الله تعالى : « إن الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله
لهم » (محمد : ٣٤) وقال عز وجل :
« إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن
يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبًا ولو
افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من
ناصرين » (آل عمران : ٩١) ، وقال
سبحانه : « إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار
أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس
أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : (كنت تحت راحلة رسول الله ﷺ في حجة الوداع ، فقال قولاً حسناً ، فقال فيما قال : « من أسلم من أهل الكتاب فله أجره مرتين ، وله مثل الذي لنا ، وعليه مثل الذي علينا ، ومن أسلم من المشركين فله أجره ، وله مثل الذي لنا وعليه مثل الذي

علينا » احسن ، رواه الطبراني ، وأحمد .

وفي هذا الحديث إبطال للحديث الشائع : أنه صلى الله عليه وسلم قال في أهل الذمة : « لهم ما لنا ، وعليهم ما علينا » ، وهذا مما لا أصل له عن النبي ﷺ ، بل ذلك الحديث الحسن صريح في أنه إنما قال ذلك فيمن أسلم من المشركين وأهل الكتاب .

ومجمل القول :

- ١ - أن للعمل الصالح شروطاً ثلاثة هي : موافقة هدي النبي ﷺ ، وإخلاص النية لله عز وجل ، وأن يكون فاعله مسلماً .
- ٢ - أن غير المسلم إذا أطاع الله بإخلاص لا ينفعه ذلك في الآخرة بل عمله حابط .
- ٣ - أن الله سبحانه يجازي الكافر علي أعماله الحسنة في الدنيا فقط إذا شاء عز وجل .
- ٤ - أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة لكنها لا تقبل منهم إذا عملوها إلا بعد أن يسلموا .
- ٥ - أن الإسلام يحو عن أسلم ما اقترفه في الشرك من كفر ومعاصٍ إلا حقوق العباد .
- ٦ - أن حسنات الكافر موقوفة :
- فإن أسلم فإنها لا تحبط ، بل تُقبل منه ، ويُجازي عليها ، وتنفعه في الآخرة .
- وإن مات علي الكفر - عياداً بالله من ذلك - تحبط ، ولا تنفعه في الآخرة .
- ٧ - أن الكتابي إذا أسلم يُضاعف له أجره ، لإيمانه بنبيه عليه السلام وبرسول الله محمد ﷺ .

المحرر

بقية ص ١
وفي اليوم المذكور وقف الأخ « أبو سفيان » داعياً إلي الله عز وجل ، فأنبري له رجل بريطاني نصراني فأخذ يقاطعه ويشوش عليه ، ثم تدني إلي ما هو أشنع من ذلك ، فطوعت له نفسه أن يلعن ويسب الله عز وجل ، والرسول ﷺ ، والإسلام ، فلم يهلل الله عز وجل طرفه عين ، وإذا بالخبث يخر في الحال علي وجهه صريعاً للبدن وللقيم بعد أن بال علي نفسه ، وأخذت الرغبة الكريهة المقرزة تنبعث من فمه ، وفشلت كل محاولات إسعافه ، إذ كان قد نفق في الحال ، وأفضى إلي جبار السموات

والأرض جل وعلا ، وكان أحد رجال الشرطة البريطانيين المخصصين لحفظ الأمن والنظام يرقب الموقف برمته مع الحاضرين عن كثب ، فلما نفضوا أيديهم منه ، وأيسوا من حياته ، أقبل الشرطي نحو أخينا « أبي سفيان » قائلاً له : « هذا ربك قد انتقم منه في الحال ؟ » ، فأجابه « أبو سفيان » : « نعم هو الله الذي فعل ذلك ، فادعوا الروح القدس كي تعيده إلي الحياة إن استطعتم » ، وصدق الله العظيم « إنا كفيناك المستهزين » .

(الحجر : ٩٥)

نظرة في تاريخ العقيدة (٢)

فاختلفوا « فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه » سورة البقرة / ٢١٣ ، وفي حديث أبي أمامة أن رجلاً سأل الرسول ﷺ قال : « يا رسول الله أنبي كان آدم ؟ » قال : « نعم ، مكلّم » ، قال : « فكم بينه وبين نوح ؟ » قال : « عشرة قرون » رواه أبو حاتم بن حبان في صحيحه ، وقال ابن كثير في « البداية والنهاية » : (هذا علي شرط مسلم ، ولم يخرج) ، وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال : (وكان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم علي الإسلام) .

ثانياً : أول انحراف عن العقيدة ، وأول رسول :

وبعد أن كان الناس أمة واحدة علي التوحيد حصل الزيغ والانحراف ، وكان أول انحراف حدث هو الغلو في تعظيم الصالحين ، ورفعهم إلي مرتبة الآلهة المعبودة ، ففي صحيح البخاري من حديث ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس عند تفسير قوله تعالى : « وقالوا لا تدرن آلهتكم ، ولا تدرن ودا ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً » سورة

بيننا في العدد السابق أن البداية الحقيقية لتاريخ الإسلام ديناً ، والمسلمين أمة ، لم تبدأ برسول الله محمد ﷺ منذ أكثر من أربعة عشر قرناً ، وإنما بدأت منذ فجر التاريخ البشري مع خلق آدم عليه السلام ، فاللينة الأولى في تاريخ البشرية ، والمكونة من آدم وحواء وذريتهما فطروا علي الإسلام ، وكذلك كل من جاء بعدهم من الأنبياء والرسل كان لهم شرف حمل رسالة الإسلام والدعوة إليها ، وقد استجاب لهم المؤمنون المسلمون الذين عاشوا بالإسلام ، وللإسلام ، ومنهم تكونت الأمة الإسلامية ، وفيما يلي مزيد بيان لهذه :

الحقيقة الثالثة :

أن التوحيد هو الأصل ،

والشرك طارئ عليه

أولاً : الجليل الأول من البشرية كان علي التوحيد :

هبط آدم إلي الأرض ، وأنشأ الله من ذريته أمة كانت علي التوحيد الخالص ، كما قال الله تعالى : « كان الناس أمة واحدة » أي علي التوحيد والدين الحق ،

(*) مصادر جمع هذه المقالة :

١ - « العقيدة في الله » د . عمر سليمان الأشقر .

٢ - « العقيدة نبغ التربية » د . أحمد بن ناصر الحمد .

٣ - « الإسلام دين الله في الأرض وفي السماء » د . جمال عبد الهادي . د . وفاء جمعة .

والزعماء الذين يظنون في أنفسهم العقل والذكاء حيث استكبروا عن متابعة الحق :
﴿ قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين ﴾
« سورة الأعراف / ٦٠ » والملأ: السادة والكبراء ، وقالوا له : ﴿ وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي ﴾ « سورة هود / ٢٧ »

اتبعوك بدون تأمل عميق ، وتفكير ونظر، وهذا الذي رمَوْهم به هو ما يجب أن يمدحوا به ، فإن الحق إذا ظهر لا يحتاج إلي نظر ، بل يجب اتباعه .

وتعجبوا أن يبعث الله رسولا بشراً ، فقالوا : ﴿ ما نراك إلا بشراً مثلاً ﴾ « سورة هود / ٢٧ » ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لآنزل ملائكة ﴾ « سورة المؤمنون / ٢٤ » وطلبوا منه أن يطرد الضعفاء والمساكين الذين تابعوه ، فرفض طلبهم : ﴿ وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملائكة ربهم ولكني أراكم قوماً تجهلون ﴾ « سورة هود / ٢٩ » .

وقد تطاول الزمان، وكثرت المجادلة بينه وبينهم كما قال الله تعالى : ﴿ فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ﴾ « سورة العنكبوت / ١٤ » ، فدعاه عليهم : ﴿ وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ، ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً ﴾ « سورة نوح / ٢٦-٢٧ » ، فأهلكهم الله بالطوفان

نوح / ٢٣ » ، قال : (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلي قومهم « أن انصبوا إلي مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً ، وسموها بأسمائهم » ، ففعلوا ، فلم تعبد ، حتي إذا هلك أولئك : وانتسخ العلم - نسي ودرس - عُبِدَت) .

فهذا أول انحراف وُجد في تاريخ البشرية عن التوحيد ، فأرسل الله إليهم أول رسوله نوحاً عليه السلام مصداقاً لوعده الذي أعطاه لأبي البشر آدم بإرسال الرسل ، وإنزال الكتب هداية للبشرية ، والدليل علي أن نوحاً كان أول رسول مبعوث : حديث الشفاعة الثابت في صحيح البخاري ومسلم ، وفيه : « أن الناس يأتون بعد آدم نوحاً فيقولون له فيما يقولون : يا نوح ، أنت أول الرسل إلي أهل الأرض ، وسمائك الله عبداً شكوراً » ، والنصوص التي بين أيدينا من كتاب ربنا تدل دلالة واضحة علي أن نوحاً قد دعا إلي التوحيد الخالص ، فقد قال لقومه : ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ « سورة الأعراف / ٥٩ » وقال : ﴿ ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم ﴾ « سورة هود / ٢٦ » وقال : ﴿ يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون ﴾ « سورة المؤمنون / ٢٣ » ، والذين استجابوا لدعوته للتوحيد هم ضعفاء الناس ، في حين تنكر لها السادة

الأعلى (= الفطرة) إلي الأدنى ، وليس تطوراً ولا ترقياً :

فليس السبب في الشرك واتخاذ المعبودات من دون الله هو الترقي في العقيدة خلال القرون ، بل سببه الحقيقي هو :

انحراف أتباع الرسل عما جاءت به الرسل ، وتركهم ما جاءت به الرسل : ﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ﴾ « سورة طه / ١٢٤ » واتباعهم الظن والهوى وتركهم الهدى : ﴿ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ « سورة النجم / ٢٣ » ﴿ ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ﴾ « سورة المائدة / ٧٧ » ، وقال في اليهود :

﴿ فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ﴾ « سورة المائدة / ١٣ » ، وقال في النصاري : ﴿ ومن الذين قالوا إنا نصاري أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلي يوم القيامة ﴾ « سورة المائدة / ١٤ » ، وقال فيهم مبيناً انحرافهم عن التوحيد الذي أمروا به : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ « سورة التوبة / ٣١ »

لذا فإن الرسل يتبرؤون من الذين انحرفوا عن منهجهم ﴿ واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس

: ﴿ وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم ﴾ « سورة الفرقان / ٣٧ » ، وأنجي نوحاً والمؤمنين برحمة منه ، وخلت الأرض من الظالمين ، ولم يبق فيها إلا الموحدون ، فلما انحرفوا عن التوحيد أرسل الله إليهم رسولا ﴿ ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين فأرسلنا فيهم رسولا منهم ﴾ « سورة المؤمنون / ٣٠-٣١ » فدعاهم إلي توحيد الله ﴿ أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره » ، وهكذا استمرت رحمة الله وعنايته ببني آدم كلما ضلوا ، وزاغوا : أنزل إليهم هداية يضي لهم الظلمات : ﴿ ثم أرسلنا رسلاً تتراكم ما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم أحاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون ﴾ « سورة المؤمنون / ٤٤ » .

هذه هي قصة البشرية الحقيقية : صراع طويل بين الحق والباطل ، بين الرسل الذين يعرضون الهدى والحق ، وبين الضالين عن التوحيد المتمسكين بما ألفوا عليه الآباء والأجداد ، وبأهوائهم ومعتقداتهم الباطلة : ﴿ ألم يأتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أقواهم وقالوا : إنا كفرنا بما أرسلتم به ، وإنا لفي شك مما تدعونا إليه مريب ، قالت رسلهم : أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلي أجل مسمى ، قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فاتنونا بسلطان مبين ﴾ .

« سورة إبراهيم / ٩ - ١٠ »

ثالثاً : الشرك الطارئ انحطاط وهبوط من

وامتحنه بالفعل والترك فيما أوجاه إلي رسله، يقول تعالى: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً إنا هديناه السبيل إما شاكراً، وإما كفوراً﴾ (الإنسان: ١-٣).

ويقول تعالى: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ «المؤمنون: ١١٥»، ويقول تعالى: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ «القيامة: ٣٦»، ويقول تعالى: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً﴾ «الكهف: ٧»، ويقول تعالى: ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور﴾ «الملك: ٢»، ويقول تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ «الذاريات: ٥٦».

ثالثاً: تعهد الله هذا النوع من خلقه بوحيه، فأول البشر خلقاً - آدم، عليه السلام - كان أول المجتبيين المخاطبين بوحى الله - تعالى - وهو بمن كلم الله - تعالى - واصطفاه بالنبوة، روي الإمام أحمد بسنده عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «أتيت رسول الله ﷺ، وهو في المسجد، فجلست» الحديث، وفيه: قلت: يا رسول الله: «أي الأنبياء كان أول؟» قال: «آدم قلت: يا رسول الله ونبي كان»، قال: «نعم، نبي مكلّم».

ويقول تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة

لى بحق، إن كنت قلته فقد علمته، تعلم ما فى نفسى، ولا أعلم ما فى نفسك، إنك أنت علام الغيوب، ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن عبدوا الله ربي وربكم».

«سورة المائدة / ١١٦ - ١١٧»

الحقيقة الرابعة:

أن الله تعالى لم يترك أمة بلا نذير

أولاً: آدم - عليه السلام - هو أول البشر خلقه الله - تعالى - من تراب، من غير أب، ولا أم، ثم خلق منه زوجة، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً، وبداية عيش هذا النوع كانت في الجنة، ثم أهبط إلي الأرض، عرف ربه في السماء، وتوجه إليه وأتاب بعد أن أهبطه إلي الأرض.

وقد تولي تبارك وتعالى هذا النوع من خلقه بهداه إذ لا صلاح له، ولا بقاء في هذه الدنيا إلا باتباع هدي الله - تعالى - قال سبحانه: ﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ «البقرة: ٣٨»، وقال تعالى: ﴿قال اهبطا منها جميعاً بعضهم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى﴾.

«طه: ١٢٣ - ١٢٤»

ثانياً: لم يخلق الله تعالى الإنسان عبثاً، ولم يتركه سدى، إنما خلقه لحكمة وغاية،

فنوح يقول: ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ «سورة يونس / ٧٢»، وقال الله عن التوراة: ﴿يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا﴾ «سورة المائدة / ٤٤»، وقال موسى لقومه: ﴿إن كنتم آمنتم بالله فعليهم أن يأتواكم إن كنتم مسلمين﴾ «سورة يونس: ٨٤»، وأمر الله خليله إبراهيم بالإسلام، فقال: ﴿أسلمت لرب العالمين﴾ «سورة البقرة / ١٣١»، ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب: يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون» «سورة البقرة / ١٣٢»، وعندما سأل يعقوب بنيه عن معبودهم من بعده قالوا: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون» «سورة البقرة / ١٣٣»، وملكة سبأ قالت: ﴿رب إنى ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ «سورة النمل / ٤٤»، ويوسف كان من دعائه: ﴿توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين﴾ «سورة يوسف / ١٠١»، والرسول - ﷺ - يقول: ﴿إنا معاشرا الأنبياء ديننا واحد، والأنبياء إخوة لعلات، أي أبوهم واحد وأمهاتهم مختلفة وكذلك الأنبياء دينهم واحد، وشرائعهم مختلفة».

وهذا التنوع الذي نراه في الشرائع لا يدل على أن دينهم كان مختلفاً، لأن الله قد يشرع أمراً لحكمة، ثم يشرع أمراً آخر في وقت آخر لحكمة أخرى، بل قد يكون هذا في الشريعة الواحدة، كما شرع الله في بداية الأمر الاتجاه إلى بيت المقدس في الصلاة، ثم نسخ ذلك بأن أمر بالتوجه إلى

رسولاً أن عبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾ «النحل: ٣٦».

ويقول تعالى: ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً، وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ «فاطر: ٢٤».

دلت النصوص السابقة على تعهد الله - تعالى - الإنسان من أول وجوده بما فيه كماله، بالشرائع السماوية الداعية إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، ولم يترك تبارك وتعالى أمة اقتضت حالتها بعث نبي إلا وبعثه، كأن يكون ما بأيديهم من شرع لأمة سابقة، ولا يناسبهم، أو أن يكون ما بأيديهم من شرع طراً عليه محو، أو تغيير، أو نحو ذلك.

وتكفل عز وجل أنه لا يعذب أحداً إلا بعد أن تقوم عليه الحجة وتبلغه دعوة الرسول، يقول تعالى: ﴿من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى، وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ «الإسراء: ١٥».

ويقول تعالى: ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ «النساء: ٦٥» رابعاً: دعوة الرسل واحدة:

دعوة الرسل واحدة، فأصل دعوتهم جميعاً ولبها التوحيد: تعريف الناس على ربهم ومعبودهم، وبيان للطريقة التي يعبدونه بها كما أن دين الرسل جميعاً الإسلام لا دين لهم سواه: ﴿ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ «سورة آل عمران: ٨٥»،

البيت الحرام ، فكان الإسلام أولاً التوجه إلي القدس ، ثم أصبح التوجه إلي الكعبة ، وكذلك شرائع الأنبياء : فالتأخر ينسخ المتقدم ، وأصبحت الشريعة المنزلة علي محمد ﷺ هي الشريعة الخاتمة الناسخة لما قبلها من الشرائع .

والمقصود أن الشرائع وإن تنوعت في أوقاتها إلا أن الجميع أمرة بعبادة الله وحده ،

لا شريك له ، وهو دين الإسلام الذي ارتضاه الله لجميع الأنبياء (*) ، وهو الدين الذي لا يقبل الله غيره يوم القيامة ، كما قال الله تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ .

« يتبع إن شاء الله تعالى »

إعداد : محمد بن أحمد بن إسماعيل

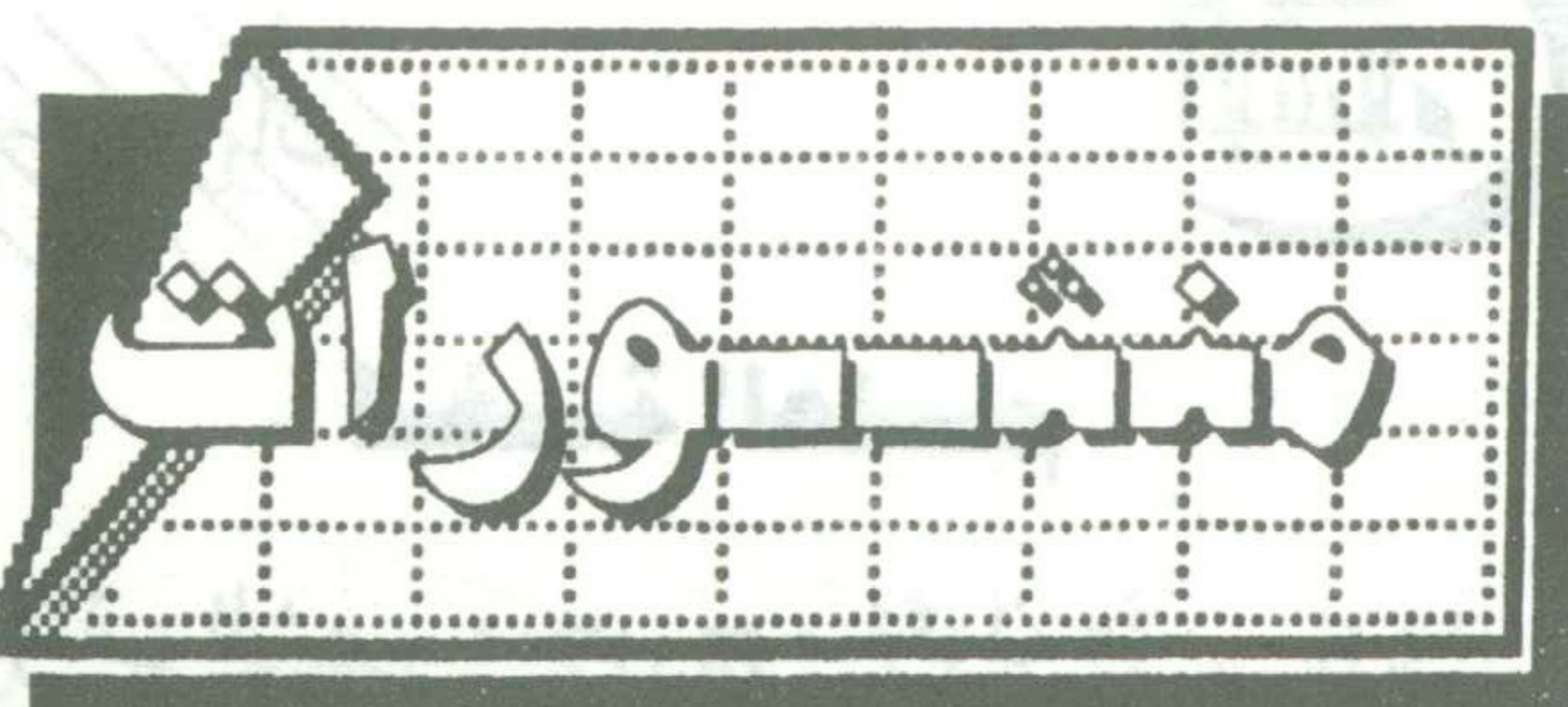
(*) ويترتب علي إدراك هذه الحقائق أيضاً النظر إلي تاريخ الأمم التي سكنت الجزيرة العربية - مصر - العراق - بلاد الشام - اليونان - الروم ... إلخ منذ أقدم الدهور علي أنه تاريخ أمم عاشت في ظل دعوة الرسل ، بعض منها اعتنق الإسلام ، وكون المجتمع المسلم ، ومنهم من رفض دعوة الرسل ، وظل مُصرّاً علي جاهليته ، أي أن المجتمع كان موزعاً بين الجاهلية والإسلام ، وليس تاريخاً جاهلياً محضاً (أو وثنيّاً) ، ويترتب علي ذلك أيضاً أن لهذا الكون خالقاً خلقه ، واستخلف الإنسان فيه لغاية ، وأنه قد زوده بمقومات الخلافة ، وأعلمه عن طريق الرسل بعد أن أخذ عليه العهد أنه مكلف بالإسلام كدين لا يمكن أن يقبل الله من الأولين أو الآخرين غيره

ولا شك في أهمية إظهار هذه الحقيقة ، حقيقة بداية تاريخ الإسلام كدين في حياة البشرية ، وأنه الدين الواحد الذي دعا إليه الرسل جميعاً ، وأنه بمثابة الصرح الضخم الذي قام كل نبي ببناء لبنة فيه ، حتي اكتمل علي يد محمد ﷺ بإرادة الله عز وجل وتوفيقه ، قال رسول الله ﷺ :

« مثلي في النبيين كمثلي رجل بني داراً فأحسنها ، وأكملها ، وأجملها ، وترك فيها موضع لبنة لم يضعها ، فجعل الناس يطوفون بالبنیان ، ويعجبون منه ، ويقولون : لو تم موضع هذه اللبنة ؟! فأنا في النبيين موضع هذه اللبنة » رواه مسلم وأحمد .

عن ابن عمر أن رجلاً جاء إلي النبي ﷺ فقال يا رسول الله : أي الناس أحب إلي الله ؟ وأي الأعمال أحب إلي الله ؟ ، فقال رسول الله ﷺ : « أحب الناس إلي الله تعالى أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلي الله عز وجل سرور يدخله علي مسلم ، أو يكشف عنه كربة ، أو يقضى عنه ديناً ، أو يطرد عنه جوعاً ، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إليّ من أن اعتكف في هذا المسجد - يعني مسجد المدينة - شهراً ، ومن كف غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غيظه ، ولو شاء أن يمضيه أمضاه ، ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة ، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتي تهيأ له ، أثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام ، وإن سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل » .

أخرجه الطبراني في « الكبير » ، وابن عساکر في « التاريخ » ، وحسنه الألباني في « الصحيحة » (٩٠٦)



سبحان الله !!

في إندونيسيا المسلمة قام

مجموعة من المنصرين بتنصير عدد كبير

من المسلمين ، مستغلين - كمعادتهم -

معاناتهم من الجهل والحاجة ، وبعد أن

فرغوا من تعميدهم في الكنيسة أرادوا أن

يكافئوهم علي تنصيرهم ، فسألوهم :

« والآن .. ليطلب كل منكم أحب

أمنية إليه ، نحققها له » ، وفي عفوية

فطرية ، انطلقت حناجرهم تلقائياً في

يا له من دين !

درس « جوستاف لوبون »

الإسلام ، وتمعن في

مظاهر عظمته ، فبهره

سمو تعاليمه ، وأدهشه

كمال تشريعه ، فقال

كلمته الشهيرة :

يا له من دين ، لو كان صوت واحد :

له رجال ! .. « الحج إلى مكة » !

الله أكبر

نشرت جريدة « ترتيم » النيجيرية الواسعة الانتشار خبراً زلزل

أحد معازل التنصير في ولاية « كنجولا » النيجيرية ، يقول الخبر :

وقف القس « ولير فروس » راعي المدينة ، وبيده مصحف

كان قد جذبه من بين يدي أحد الحاضرين ، ثم ألقى به علي

الأرض ، وسكب عليه مقداراً من البنزين ، وأشعل عوداً من

الثقاب لحرقه ، « لكن النار شبت في يد القس » قبل أن يلقي

بعود الثقاب علي المصحف ، وأصيبت يده بحروق شديدة ،

« ولم تمس النار المصحف » ، وكان الحاضرون يتابعون

المشهد وهم في ذهول ، حيث جرى ذلك أثناء قداس في

الكنيسة ، وعقب هذا الحادث مباشرة ، أعلن القس دخوله

في الإسلام ، وتبعه رئيس الكنيسة « يعقوب موسى » ،

مناظرة

يُحكى عن بعض الأئمة أنه ناظر بعض علماء

اليهود ، فقال له اليهودي : « أنا لا أوافقك علي

نبوة محمد ، وأنت توافقني علي نبوة موسى » ،

فقال له الإمام : « إن كان موسى الذي أقر بنبوة

محمد ﷺ ، وبشّر به ، فأنا أوافقك علي نبوته ،

وإن كان الذي ما أقر بنبوة محمد ﷺ ، فلا

أوافقك علي نبوته » ، فانقطع .

★★★★★★★★★★★★★★★★

وتوالى دخول المنصرين في الإسلام ، حتى بلغ

عددهم ٢٠٠ منصر ، وتحول هذا القس إلى « داعية

إسلامي كبير » .

المبعوث في آخر الزمان رحمة للعالمين ، كما تبشر بشريعته العادلة الكاملة الأبدية ، وتذكر بعض صفاته وأحواله ، لكن أهل الكتاب حرقوا وبدلوا ؛ إما من حيث الصورة والكتابة ، أو من حيث المعنى والتأويل .

واليهود بأسرهم مجمعون على أن في التوراة بشارة بنبي يأتي من بعد موسى ، وإنما يفترون في تعيينه والزيادة عليه ، وسوادهم يزعم أن قائماً يقوم فيهم من بني إسرائيل في آخر الزمان ، يقيم ملك اليهود ، ويعلو به شأنهم ، كما سيأتي ، وهم يحملون البشارات كلها عليه ، وقد سَمَّوه المسيح المنتظر ليوهموا العالم أنه سيكون منهم ، لا من بني إسماعيل إخوانهم كما جاءت به النصوص

وإن مما لا شك فيه أن نصوص البشارات كانت واضحة في بعث نبي من ذرية إسماعيل ، بل صريحة في بعض الأحيان باسم محمد ﷺ ، لكن علماء بني إسرائيل في أثناء السبي وبعده عند محاولتهم جمع أشتات التوراة المفقودة وكتابتها ؛ جعلوا عبارات البشارات تحتل معنيين عند العوام ؛ ليوهموهم أنه من بني إسرائيل ، ولما عادوا من السبي اختلفوا في تحديد السبط الذي يخرج منه ؛ فقال السامريون : « من سبط يوسف الصديق ، وقال العبرانيون : « من نسل داود لأنه مؤسس المملكة » .

وجاء المسيح ابن مريم عليه السلام يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويبشر بالنبي الخاتم المأمور بالجهاد وإقامة الحدود ، فكذبوه وهموا بقتله مراراً إلى أن صانه الله ،

وأُنقذه من أيديهم ، مع أن الأنبياء قد بشرت به أيضاً من لدن موسى إلي يحيي عليهما السلام ، وأكثر الأنبياء تبشيراً به داود عليه السلام ، لكنهم كذبوه ظانين أنه ليس الذي بُشروا به .

ويري كثير من الباحثين أنه نتيجة لما لاقاه اليهود من اضطهادات ، نشأت عندهم عقيدة المخلص الذي سيظهر ليجمع أشتات اليهود في فلسطين ، ويُعيد مجد إسرائيل - وقد تعدهم السعد - فلهذا إذا خرج «المسيح الدجال» يُضل الناس بحيله الكاذبة، وبما يستدرجه الله به من قدرات اتبعوه ، وكانوا جنده ، كما صح في الأخبار عن سيد الأبرار ﷺ .

أما النصاري فيحملون بشارات العهد القديم كلها علي المسيح ابن مريم ، ويزعمون أنه وحده الموعود به في كتب النبوات ، واليهود يابون ذلك وينكرون تأويلهم أشد الإنكار .

نص البشارة :

١- بشارة هاجر

ياسماعيل وبمباركته

جاء في سفر التكوين في قصة هروب هاجر من سارة ما يلي :

١٦ / ٦ : فأذلتها ساراي ، فهِرَّتْ من وجهها .

١٦ / ٧ : فوجدها ملاك الرب علي عين الماء في البرية .

١٦ / ١٠ : وقال لها ملاك الرب :

تكثريراً أكثر نسلك ، فلا يُعدُّ من الكثرة .

١٦ / ١١ : وقال لها : ها أنت حُبلي ، فتلدن ابناً ، وتدعين اسمه إسماعيل ، لأن الرب قد سمع لمذلتك .

١٦ / ١٢ : وإنه سيكون إنساناً وحشياً يده علي الكل ، ويد الكل به ، وأمام جميع إخوانه يسكن .

وجاء في السفر نفسه لدي دعاء إبراهيم لأولاده ما يلي :

١٦ / ١٧ : وأباركها - أي سارة - وأعطيك أيضاً منها ابناً ، أباركها فتكون أمّاً ، وملوك شعوب منها يكونون .

١٧ / ٢٠ : وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه ، وأثمره ، وأكثره جداً جداً ، اثني عشر رئيساً يلد ، وأجعله أمة كبيرة .

وجاء فيه أيضاً في قصة رحيل هاجر وإسماعيل إلي فاران ما يلي :

٢١ / ١٢ : لأنه بإسحاق يُدعى لك نسل .

٢١ / ١٣ : وابن الجارية أيضاً سأجعله أمةً ، لأنه نسلك .

وفي التوراة السامرية : لشعب كبير أجعله ٢١ / ١٧ : فسمع الله صوت الغلام ، ونادي ملاك الرب هاجر .

٢١ / ١٨ : قومي احملني الغلام ؛ وشدي يدك به ، لأنني سأجعله أمة عظيمة .

توضيح البشارة :

هربت هاجر من إيذاء سيدتها سارة ، فسمع الله تضرعها ، وأرسل إليها ملاكه ليبشرها بأنها حُبلي ، وستلد ولداً مباركاً ، لا يعد نسله من الكثرة ، وستكون يده فوق أيدي الجميع ، ويد الجميع تحت يده ، وسوف يسكن حول جميع إخوانه .

كما سمع الله سبحانه دعاء إبراهيم ، فبارك ولديه إسماعيل وإسحاق معاً ، ووعدته بأن يجعل من ذريتهما أمّاً وملوكاً .

وبشّر هاجر بذلك أيضاً بعد أن رحلت مع ولدها إلي بركة فاران ، وسكنت في وادٍ غير ذي زرع بين جبال فاران .

وقد تحقق الوعد لإسحاق ، فكثر نسله ، واصطفى الله من ذريته موسى عليه السلام برسالاته وكلامه ، وقام من بعده بالدعوة في بني إسرائيل أنبياء وعلماء وملوك كثيرون ، هذه بركة إسحاق ، فما بركة إسماعيل ؟

إن علماء اليهود والنصاري يقولون : إنها تعني ظهور الأمم والملوك من ذريته دون النبوة والتشريع ، وهذا تعسف واضح ، إذ كيف يكون هذا ، والبركة لهما واحدة ، وفي نص واحد؟! إن الله سبحانه لا يصطفى أمّاً وملوكاً ويتركهم بدون هدي منه ، وكيف يصطفى ملوكاً دون أن يعطيهم شريعة يسوسون بها شعوبهم؟! .

ومن المعلوم أن يد بني إسماعيل لم تكن قبل بعثة محمد ﷺ فوق أيدي أحد من

٢ - أوصاف النبي المنتظر ودلائل نبوته

نص البشارة :

جاء في سفر التثنية علي لسان موسى - عليه السلام - ما يلي :

١٨ / ١٥ : يُقيم لك الربُّ إلهُك نبياً { من وسطك } من إخوتك مثلي ، له تسمعون .

١٨ / ١٧ - ١٨ : قال لي الرب .. وسوف أقيم لهم نبياً مثلك من بين إخوتهم ، وأجعل كلامي في فمه ، ويكلّمهم بكل شيء أمره به .

١٨ / ١٩ : ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم فيه باسمي فأنا أكون المنتقم منه .

١٨ / ٢٠ : فأما النبي الذي يجترئ بالكبرياء ، ويتكلم في اسمي ما لم أمره به ، بأن يقوله ، أم باسم آلهة أخرى ، فليقتل ذلك النبي .

١٨ / ٢١ : وإن قلت في قلبك : كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب ؟

١٨ / ٢٢ : فما تكلم به النبي باسم الرب ، ولم يحدث ولم يصّر ، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب ، بل بطغيان تكلم به النبي ، فلا تخف منه .

تحليل النص :

بشّرت التوراة بني إسرائيل بنبي يأتي من بعد موسى ، ووصّفته بما يلي :

١ - كونه من إخوة بني إسرائيل ،

الناس ، بل كانت النبوة والكتاب والملك في بني إسرائيل والعيس ، وهما ولدا إسحاق ، فلما بعث محمد ﷺ انتقلت النبوة إلي بني إسماعيل ، فدانت لهم الأمم ، وخضعت لهم الملوك ، فظهر بذلك تحقيق ما جاء في التوراة .

ومن المقطوع به أنه لم يأت من صلب إسماعيل من بورك ، وعظم ، وكان لشعب كبير غير محمد ﷺ ، ولم يظهر الملك في أولاد إسماعيل إلا بعد بعثته : فقد ظهر علي أكثر جزيرة العرب بمن فيها من مشركين ويهود ونصاري ، ثم ظهرت أمته من بعده علي سائر الأمم ، وكانت الخلافة في قبيلة قريش التي هي قبيلة محمد ﷺ ومن ذرية إسماعيل ، فكانت يد إسماعيل فوق أيدي الناس .

واذا لم يكن محمد ﷺ نبياً فهو ملك ، وقد علم الخاص والعام أنه أخبر عن نفسه أنه رسول الله إلي الناس كافة ، فإن كان ملكاً صادقاً عادلاً فقد وجب الإيمان به ، وإن لم يكن صادقاً فهو ظالم جبار متسلط ، إذ لا ظلم أشد من الكذب علي الله ، لكن كيف تكون البشري لهاجر والبركة لإسماعيل بملك ظالم يدّعي النبوة ، ويقهر الناس بسيفه ؟ ففي تكذيبه تجويره ، وفي التجوير رفع المنة بالنعمة ، وأي بشارة أو بركة تكون في إخبار شخص بأنه سيكون أبرز أولاده طاغية يظلم الناس ، ويفتري علي الله الكذب ؟! وهل تسمي الأمة الكافرة أمة عظيمة ؟!

وليس منهم حقيقة ، كما في الفقرتين : ١٨ ، ١٥ .

ب - كونه نبياً يشابه موسى في أوصافه وخصائصه ، كما في الفقرتين : ١٥ ، ١٨ أيضاً .

ج - إن الله سبحانه سيجعل كلامه في فم هذا النبي ، وسيكلم الناس بكل ما يُوحى إليه ، وبلغهم إياه ، كما في الفقرة ١٨ .

د - إن الذي لا يطيع هذا النبي ، ولا يقبل كلامه الذي هو وحي من الله ، فإن الله سيكون هو المنتقم منه ، كما في الفقرة ١٩ .

هـ - إن نهاية المتنبئ الكاذب الذي يفتر علي الله الكذب هي القتل كما في الفقرة ٢٠ ، ومفهوم المخالفة لهذه الفقرة : أن النبي المبشّر به لن يستطيع أحد قتله .

و - من علامات صدق هذا النبي أنه سيخبر بأمور وحوادث غيبية ، سوف تتحقق وتقع كما أخبر ، كما في الفقرة ٢٢ ، وبذلك يتميز عن المتنبئين الكذبة .

وعلي ضوء التحليل نجد أن هذه الصفات لا تتحقق لا في عيسى ابن مريم ، ولا في غيره من أنبياء بني إسرائيل للأدلة التالية :

- أما الصفة الأولى فإن البشارة إنما وقعت بنبي من إخوة بني إسرائيل ، وليس من بني إسرائيل أنفسهم ، إذ لا شك أن الأسباط الاثني عشرة كانوا حاضرين عندما وجّه إليهم موسى - عليه السلام - خطابه ،

ولو كان المبشّر به منهم لقال : أقيم لهم نبياً منهم أو من أنفسهم ، ولم يقل « من إخوتك ، أو من إخوتهم » ، لأن إخوة القوم ليسوا أنفسهم ، بل بنو أبيهم ، ولا يُعقل في لغة من اللغات أن يقال : بنو إسرائيل هم إخوة بني إسرائيل علي سبيل الحقيقة ، ولا تترك الحقيقة إلي المجاز : ما لم يمنع منها مانع قوي ، ومما يدل علي أن المراد بلفظ (إخوة بني إسرائيل) غير بني إسرائيل ما يلي :

جاء في سفر التكوين ١٦ / ١٢ في بشارة هاجر بإسماعيل : « وأمام جميع إخوته يسكن ، وفي ٢٥ / ١٨ : أمام جميع إخوته نزل » .

وجاء في سفر التثنية ٢ / ٤ : « وأوصي الشعب قائلاً : أنتم مارون بتخّم إخوتكم بني عيسو (١) الساكنين في سعيير .. » .

٢ / ٨ : « فعبّرنا عن إخوتنا بني عيسو الساكنين في سعيير .. »

وإخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل وهم العرب ، وبنو العيس وهم الروم ، فأما الروم فلم يقيم فيهم نبي سوي أيوب عليه السلام ، وقد كان قبل موسى عليه السلام ، فلا يجوز أن يكون هو المبشّر به ، ولم يبق إلا العرب ، وهم بنو إسماعيل إخوة بني إسرائيل ، فتعين أن يكون المبشّر به منهم ، ولم يخرج من وكّد إسماعيل إلا محمد بن عبد الله ﷺ ، فيكون هو النبي الموعود به ،

(١) وعيسو وإسرائيل ولدا إسحاق ، ولذا كان بنو عيسو إخوة لبني إسرائيل ، فكذا بنو إسماعيل إخوة لجميع ولد إبراهيم .

والله عندهم هو المسيح نفسه ، وهو يرسل الرسل ، فكيف يشبه موسى الذي هو عبد رسول ؟ !! جاء في تفسير الكتاب -

المقدس عندهم - الجماعة من اللاهوتيين برئاسة الدكتور داویدسن في تفسير هذه النبوة ما يلي : « يعلن موسى إعلاناً مسيانياً عن النبي الذي سيخلفه في وظيفته كني » . فالبشارة إنما هي بنبي لا ياله .

٢ - إن المهمة التي جاء من أجلها المسيح في عقيدة النصاري لا تشابه المهمة التي بعث موسى من أجلها البتة : فالمسيح في زعم النصاري أقنوم الإنس الأزلي ، لأن أقنوم الحكمة تجسد لكي يفدي الإنسان الذي شوته الخطيئة البشرية ، ويموت علي خشبة الصليب كإنسان كامل بدون خطيئة.

والمسيح في زعمهم أيضاً صار ملعوناً من أجل هذه المهمة : جاء في رسالة بولس إلي أهل غلاطية ٣ / ١٣ - ١٤ : « والمسيح حررنا من لعنة الشريعة بأن صار لعنة من أجلنا ، فالكتاب يقول : ملعون من مات معلقاً علي خشبة ، وهذا ما فعله المسيح لتصير فيه بركة إبراهيم إلي غير اليهود » .

والمسيح في اعتقادهم دخل الجحيم بعد صلبه ، وأخرج الأنبياء و الصالحين ، ومكث هنالك ثلاثة أيام ، لأن صلبه كان كفارة للخطيئة البشرية .

ويدعم ذلك ما سبق من وعد الله لهاجر وإبراهيم بمباركة إسماعيل ، ولو كانت هذه البشارة لنبي من بني إسرائيل لم يكن لذكر الإخوة هنا معني

وقوله : « أقيم لهم » يدل علي عموم رسالته ، وقد خاطبهم بذلك ووصاهم بطاعته لئلا يظنوا أنه مرسل إلي العرب خاصة ، فلا يؤمنوا به عند بعثته وظهوره .

وأما الصفة الثانية : وهي كونه نبياً يشابه موسى في أوصافه وخصائصه وأعماله ، ويمثله في كونه صاحب شريعة عامة شاملة تلتزم بها الأمة من بعده ، فإنها لا تنطبق علي المسيح البتة لما يلي :

١ - إن موسى عليه السلام عبد من عباد الله ، ونبي من أنبيائه ، أرسله إلي فرعون وبني إسرائيل ، وغاية منزلته أن يكون نبياً يوحي إليه بشرع ، لا غاية فوقها ، والمسيح في زعم النصاري ليس نبياً ولا عبداً ، بل هو إله تام من إله تام من جوهر أبيه ، وقد اتحد ناسوته البشري بلاهوته فصار إلهاً مستقلاً هو الأقنوم - أي الأصل - الثاني من الأقانيم الثلاثة التي تشكل مجموعها إلهاً واحداً له ثلاث مشيئات لكنها لا تختلف ، جاء في إنجيل يوحنا ١ / ١ « في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله » تعالي الله عن ذلك علواً كبيراً .

أما موسى عليه السلام فقد كانت مهمته تنحصر في أنه بشر رسول يبلغ عن الله ، مات موتاً عادياً ، ولم يصلب فداءً عن أحد ، ولم يكن ملعوناً بشفاعته لأحد ، ولم يدخل الجحيم ليخلص أحداً ، فبين المهمتين بون شاسع .

٣ - إن موسى عليه السلام كان صاحب شريعة كاملة مستقلة شاملة جميع نواحي حياة الإنسان في حياته وبعد مماته من عبادات وتشريع ، والمسيح كما تذكر الإنجيل لم يكن كذلك : جاء في إنجيل متي ٥ / ١٧ - ١٨ : لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض ، بل جئت لأكمل .

٤ - إن موسى عليه السلام كان رئيساً مطاعاً في قومه ، أمرهم بالجهد ، وجاهد معهم ، وانتصر علي أعدائه ، وهو متزوج ، وله أولاد ، أما المسيح عليه السلام فلم يكن كذلك مطلقاً ، بل كان يختفي من قومه عندما هموا بقتله وصلبه ، ولم يتزوج إلي أن نجاه الله من أعدائه ، ورفع إلي السماء .

٥ - إنه لو حملت هذه البشارة علي نبي من أنبياء بني إسرائيل للزم منه تكذيب نصوص التوراة التي بين أيديهم فقد جاء في

سفر التثنية ٣٤ / ١٠ - ١٢ : « ولم يبق بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرف الرب وجهاً لوجه » .

وهذا النص يحتمل أن يكون معناه أن هذا النبي المنتظر لم يكن قد أتى حتي زمان كتابة التوراة في بابل إبان السبي أو بعد العودة منه ، لكن من الممكن أن يظهر بعد ذلك من بني إسرائيل أو من غيرهم ، غير أن التوراة السامرية منعت أن يكون هذا النبي من بني إسرائيل البتة ، فقد جاء فيها ٣٤ / ١٠ : « ولا يقوم أيضاً نبي في بني إسرائيل ، كموسي الذي ناجاه الله شفاهاً » .

وبما أنه لا مثيل لموسي في بني إسرائيل ، فلا بد أن يكون النبي المنتظر الذي بشرت به التوراة من ذرية رجل آخر مبارك في نفسه وذريته ، وقد منح الله سبحانه البركة لإسماعيل وذريته كما منحها لإسحاق وذريته فتعين أن يكون هذا النبي من ذرية إسماعيل ، ولم يخرج من ذرية إسماعيل بالرسالة والنبوة إلا محمد ﷺ ، فيكون هو الموعود به لما يلي :

أ - إنه من أخوة بني إسرائيل وليس منهم .

ب - إنه يماثل موسى في أمور كثيرة

(*) يكسر الربط جداً بين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وأمتيهما في القرآن الكريم ، بسبب تعدد أوجه الشبه بينهما : - فقد حكى تعالي علي لسان الجن قولهم : « إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم » (الأحقاف : ٣) .

- وقال ورقة بن نوفل لما أخبرته خديجة رضي الله عنها بما حدث مع النبي ﷺ في غار حراء : « هذا الناموس الذي أنزل الله علي موسى » ، وقال النجاشي لما تليت عليه سورة مريم : « إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة » ، وراجع في ذلك صدر سورة الإسراء ، وطه ، والقصاص ، والجمانية (١٦ - ١٩) ،

وقوله في الفقرة ١٨ / ١٨ : « ويكلمهم بكل شيء أمره به » يدل علي أنه لا يتكلم من تلقاء نفسه ، بل بوحى من الله ، ومحمد ﷺ كان كذلك ، قال سبحانه : ﴿ وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى ﴾ (النجم : ٣-٤) .

وأما الصفة الرابعة الواردة في الفقرة ١٨ / ١٩ : « ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم فيه باسمي : فأنا أكون المنتقم منه » . فإنها تدل علي أن الله سبحانه سيؤيد هذا النبي ، وينصره علي من يكفر به ، لأن المراد بالانتقام هنا الانتقام التشريعي الذي يشمل الجهاد الذي تكون فيه العاقبة لذلك النبي وأصحابه ، كما يشمل القصاص وإقامة الحدود ، ولا يمكن أن يكون المراد به محض العذاب في الآخرة ، لأن هذا عام لا يختص به نبي دون آخر .

وأما الصفة الخامسة الواردة في الفقرة ١٨ / ٢٢ فتدل علي أن هذا النبي سيخبر أمته ببعض الأمور الغيبية التي يطلعها الله عليها ، وسوف تتحقق ، ويرأها أصحابه وأمتهم من بعده ، حدث كما أخبر ، وهذه الصفة تنطبق علي محمد ﷺ أتم الانطباق ، فقد حدث أصحابه في القرآن الكريم والسنة المطهرة عن الغيب الماضي والحاضر في زمنه مما غاب عنه ، وعن الغيب المستقبل ، فكانت أخباره كلها صادقة ؛ منها ما رآه الصحابة حال حياته ، ومنها ما رأوه بعد وفاته ، ومنها ما رأته أمته من بعده بعد

منها ما يلي :

١ - كلاهما عبد ورسول لله سبحانه ؛ فهما نبيان ، وقد ولدا من أب وأم ، وتزوجا وأنجبا أولاداً ، وماتا علي الفراش ، ودُفنا في القبر .

٢ - كلاهما كلمه الله شفاهاً من غير وساطة أحد .

٣ - كلاهما صاحب شريعة كاملة شاملة لنظام كامل لحياة الإنسان دينياً ودنيوياً .

٤ - كلاهما مطاع في أصحابه وأتباعه ، وقادر علي إجراء الأحكام بينهم ، وقد أمرا بالجهاد فجاهدا مع من تبعهما .

وهذا مصداق قوله تعالي ﴿ إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا ﴾ (*) (المزمّل : ١٥) .

- وأما الصفة الثالثة : وهي أن الله سيجعل كلامه في فمه ، فيكلمهم بكل ما يوصيه به ، فإنها تشير إلي أن الله سبحانه سينزل علي هذا النبي كتاباً يظهر للناس من فمه ، كما تشير أيضاً إلي أنه سيكون أمياً ، لا يكتب ولا يقرأ ، ومحمد ﷺ كان أمياً ، وقد أنزل الله القرآن علي قلبه ، وظهر للناس من فمه ، قال سبحانه : ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * علي قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين * وإنه لفي زبر الأولين * أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى إسرائيل ﴾ (الشعراء : ١٩٢ - ١٩٧) .

مئات السنين ، ومنها ما وقع بعضه وبقي الآخر ، ومنها ما يزال المسلمون ينتظرون وقوعه حتي اليوم ، وأكتفي هنا بالمثاليين التاليين :

١ - عن أبي قبيل قال : كنا عند عبدالله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ؛ وسئل : (أي المدينتين تفتح أولاً ، القسطنطينية أو رومية ؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق . قال : فأخرج منه كتاباً ، قال : فقال عبد الله : بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ : أي المدينتين تفتح أولاً ، أقسطنطينية أو رومية ؟ فقال رسول الله ﷺ : « مدينة هرقل تفتح أولاً » ، يعني قسطنطينية) أخرجه أحمد في « المسند » ، وابن أبي شيبه ، والدارمي ، والحاكم ، وصححه ، ووافقه الذهبي .

ولقد فتحت القسطنطينية علي يد « محمد الفاتح » وسماها إسلام بول ، وبقي فتح روما إن شاء الله .

٢ - عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال : « لتقاتلن اليهود ، فلتقتلنهم ، حتي يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودي ، فتعال فاقتله » أخرجه الشيخان والترمذي . وإن ذلك لكائن بإذن الله كما أن الشمس تشرق كل يوم ، لكن لا يعلم متي يكون إلا الله سبحانه .

وأما الصفة السادسة التي جاءت في الفقرة ١٨ / ٢٠ ، فتفيد أن نهاية المتنبي الكاذب هي القتل ، والمسيح في زعم النصارى قتل وصلب ، فهل هو متنبي كاذب كما يدعي اليهود ؟!

أما محمد ﷺ فلم يستطع أحد قتله رغم كثرة المحاولات من المشركين في مكة المكرمة ، ومن اليهود والمنافقين وغيرهم في المدينة المنورة حضراً وسفراً ، واليهود يعلمون هذا أكثر من غيرهم ، وحوادث الغدر والخيانة شاهدة علي ذلك .

عن أي هيرة رضي الله عنه قال : (لما فتحت خيبر ، أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم ، فقال رسول الله ﷺ : « اجمعوا لي من كان ها هنا من اليهود » ، فجمعوا له ، فقال : « إني سألتكم عن شيء ، فهل أنتم صادقون عنه ؟ » ، قالوا : نعم يا أبا القاسم ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « من أبوكم ؟ » ، قالوا : فلان ، فقال : « كذبت ، بل أبوكم فلان » ، قالوا : صدقت وبررت ، فقال : « هل أنتم صادقون عن شيء إن سألتكم عنه ؟ » ، قالوا : نعم يا أبا القاسم ، وإن كذبتك عرفت ، كما عرفت في أبينا ، قال لهم : « من أهل النار ؟ » ، قالوا : « نكون فيها يسيراً ، ثم تخلفوننا فيها » ، قال : « اخسثوا فيها ، والله لا نخلفكم فيها أبداً » ، قال : « هل أنتم صادقون عن شيء إن سألتكم عنه ؟ » ، قالوا : نعم يا أبا القاسم ، قال : « هل جعلتم في هذه الشاة سمّاً ؟ » ، قالوا : نعم . قال : « فما حملكم علي هذا ؟ » ، قالوا : أردنا إن كنت كاذباً نستريح منك ، وإن كنت صادقاً لم يضرك) أخرجه البخاري .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة ، فجئى بها إلي رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك فقالت : « أردت لأقتلك » ، وفي رواية أبي داود عن جابر رضي الله عنه

قالت : « قلت : إن كان نبياً فلن تضربه ، وإن لم يكن نبياً استرحنا منه » ، فقال رسول الله ﷺ : « ما كان الله ليسلطك علي ذلك » ، أخرجه البخاري ومسلم .
وفي رواية أبي داود عن جابر : « فعفا عنها » .

وقد ادعي النبوة قبل محمد ﷺ وبعده أناس كثيرون ، فكان مصيرهم القتل ، مثل مسيلمة الكذاب والأسود العنسي وسجاح وغيرهم .

وهذه الصفة التي جاءت في هذه الفقرة تتطابق مع قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ (الحاقة : ٤٤ - ٤٧) .

ومع قوله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (المائدة : ٦٧) .

الرسالات الثلاث

نص البشارة :

جاء في سفر التثنية ما يلي :
٣٣ / ١ : وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته .
٣٣ / ٢ : فقال : جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سَعِير ، وتلألأ من جبال فاران .

توضيح البشارة :

هذا النص هو وصية موسى عليه السلام قبل موته لبني إسرائيل ، فقد بشرهم بالمسيح ابن مريم ، وبمحمد ﷺ ، وربط بين الرسالات الثلاث :

- فمجنى الله من سيناء ظهور دينه وتوحيده بما أوحى به إلي عبده ورسوله موسى عليه السلام هناك ، حيث كلمه في جبل الطور ، وناداه من واديه الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة ، فنبأه وأعطاه

بعض المعجزات ، وأرسله إلي فرعون ، ثم أنزل عليه التوراة ، وأعطاه الشريعة هدي لبني إسرائيل ، وهذا أمر متفق عليه .

- وإشراقه من سَعِير ظهور فضله بإرسال عيسى عليه السلام ، وإنزال الإنجيل عليه فيه هدي ونور ، وسَعِير جبل في فلسطين بجانب قرية بيت لحم حيث ولد المسيح عليه السلام ، ولا يزال هذا الاسم يطلق علي أرض الجليل التي فيها مدينة الناصرة ، وهذه البشارة ينازع فيها اليهود .

- وتلألؤه من فاران هو ظهور أمره إلي جميع الناس بإنزال القرآن علي محمد (١) ﷺ وجبال فاران هي الجبال المحيطة بمكة المكرمة حيث ولد محمد ﷺ ، وفي غار حراء الكائن في أحد هذه الجبال كان النبي ﷺ يتعبد ، فنزل عليه الوحي لأول مرة بأول سورة نزلت من القرآن ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ .

وهذا أمر ينازع فيه اليهود والنصارى ، لكن الشمس مشرقة وإن لم يرها الأعمى ، إذ لا يشك عاقل في أن برية فاران هي مسكن آل إسماعيل ، جاء في سفر التكوين ٣١ / ٢ - ٢١ : وكان الله مع الغلام فكبر وسكن البرية ، وكان ينمو رامي قوس ، وسكن في برية فاران ، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر .

وقد عُلِمَ بالتواتر واتفاق الأمم أن إسماعيل إنما عاش وربى في مكة بواد غير ذي زرع ، وأنه بني مع أبيه إبراهيم البيت المحرم بذلك الواد .

فَعُلِمَ قطعاً أن فاران في الحجاز ، وأن جبال فاران هي المحيطة بمكة المكرمة ، وقد بقي هذا الاسم يطلق علي تلك الجبال إلي ما بعد القرن السابع الهجري ، كما ذكر ابن تيمية في « الجواب الصحيح » .

(يتبع إن شاء الله)

«بلى قادرين على أن نسوي بنانه»

اختلاف بصمات الأصابع

حقيقة علمية أشار إليها القرآن الكريم

قبل أن تكتشف باثني عشر قرناً

الدكتور / حامد أحمد حامد

علي أن يغيروا هوية بصماتهم ، فنزعوا الجلد من البنان ثم طعموه بقطع لحمية جديدة من مواضع أخرى بأجسامهم ، ولكنهم أصيبوا بالحسرة وخيبة الأمل عندما اكتشفوا أن الجلد المزروع الجديد نما ، واكتسب نفس البصمات الخاصة للشخص بدون أي تغيير .. !

ويعود الفضل - بعد الله - إلي (د . وليم هرشل) الإنجليزي الذي أشار إلي اختلاف البصمات باختلاف أصحابها ، مما يجعلها دليلاً مميزاً لكل شخص ، وذلك سنة ١٨٥٨م ، مما أدى إلي استخدامها بأجهزة الشرطة كدليل قاطع علي المجرمين

وتتميز البصمات عند دراستها بأربع صفات رئيسية :

- (١) تفرع خط إلي خطين جزئيين أو أكثر .
- (٢) إنتهاء خط باتجاه الأعلى أو الأسفل
- (٣) وجود جزيرة أو نقطة .

(٤) وجود حلقة .

وبدراسة البصمات من هذا المنطلق يمكننا

يعود الفضل في اكتشاف البصمات - بعد فضل الله - إلي أستاذ التشريح البولندي (بركنجي) ، والبصمات هي تسجيل للتعرجات التي تنشأ من التحام طبقة الأدمة مع البشرة ، وهذه التعرجات تختلف من شخص لآخر ، فلا تتوافق ولا تتطابق أبداً بين شخصين ، وتبقي من المهد إلي اللحد مميزة لكل شخص علي حدة ، والبصمة تبدأ تتميز من الشهر الثالث للحمل ، وتبقي ثابتة لا تتغير حتي الموت . وقد تبين من دراسة إحدي الجثث التي عثر عليها الباحثون في حفرة جليدية ، وكان عمرها المقدر ألفي سنة أن بصماتها واضحة ومميزة بالرغم من هذا العمر ، ووجد العلماء أن إحدي الموميا المصرية المحنطة احتفظت ببصماتها واضحة جلية ، وخلال العمر فالبصمة لا تتبدل أبداً حتي إذا احترق الجلد ينمو محله جلد جديد به نفس البصمات تماماً لم تتبدل .

وأول من أكد ثبات البصمات (فرانسيس جالتون) سنة ١٨٩٢م ، وحدث أن بعض المجرمين بشيكاغو تصوروا أنهم قادرون

(١) وقد جمع الله عز وجل هذه الأماكن المقدسة في قوله تبارك وتعالى : ﴿ والتين والزيتون * وطور سينين * وهذا البلد الأمين ﴾ (سورة التين : ١ : ٣) .

بداية الهداية

إعداد : عرفات كامل العشي

قصة إسلام الأستاذ إبراهيم خليل أحمد

(أستاذ اللاهوت القس ، إبراهيم خليل فيلوبوس ، سابقاً)

صدق الله العظيم القائل : ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ { المدثر : ٣١ } .

وصدق رسول الله ﷺ القائل : « إن الدين يسر ، ولن يُشادَّ الدين - أي يقاويه ويقاومه أحدٌ - إلا غلبه » .

ﷺ بعد أن أسلمت : « والله ما كان هناك بيت أبغض إلينا من بيتك ، وها نحن الآن والله ما من بيت أحب إلينا من بيتك » ، وعلي مر العصور يُحوَّلُ الله من شاء من عباده من المحاولة لهدم هذا الدين ، والإجهاز عليه إلى التضحية بالروح والنفس والنفيس للذود عنه ، وقضية القسيس « إبراهيم خليل » تضيف فصلاً جديداً في قصص التوفيق الرباني الرائع ، وسنة الله في حفظ هذا الدين

يبدأ الأستاذ « إبراهيم خليل أحمد » ، والذي كان اسمه من قبل « القس إبراهيم خليل فيلوبوس » ، قصته قائلاً :

رحلتي الدراسية

أنا من مواليد الإسكندرية في ١٣ يناير ١٩١٩ درست في مدارس الإرسالية الأمريكية حتي الثانوية العامة ، ثم حصلت علي دبلوم كلية أسبوط سنة ١٩٤٢ ، وتخصصت في الدراسات الدينية تمهيداً لدخولي كلية اللاهوت ، ولم يكن

كان الأستاذ « إبراهيم خليل أحمد » قساً مبشراً ، يحمل أرفع الشهادات في علم اللاهوت من كلية اللاهوت المصرية ومن جامعة برنستون الأمريكية ، وكانت مهمته تزييف حقيقة الإسلام ، والدعوة ضد مبادئه ، وفجأة شاء الله له الهداية ، فأعلن انقلاباً ذاتياً علي مهمته ، واتخذ موقفاً مغايراً لها تماماً ، سبحان الله ! كم من خصم لدود للإسلام يناصبه العداء ، ويتآمر ضده ، ويكيد له أعظم الكيد ، ثم يتحول بإرادة ربانية سماوية إلي داعية مخلص للإسلام ، ولا يقتصر ذلك علي زماننا ، فبدأً بعمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، الذي كان ألد أعداء رسول الله ﷺ ، والذي كان يريد قتل هذا النبي ، ثم أسلم ، فأصبح الفاروق عمر ، الذي ملأ الدنيا عدلاً وقسطاً ، ومروراً بآل أبي سفيان وزوجه هند آكلة الأكباد ، والتي دفعت ثمناً باهظاً لقتل سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أسد الله وأسد رسوله ، والتي كانت تقول للرسول

التباس ، فتصبح خير دليل وأصدق شاهد في الدنيا والآخرة ، فالبصمات تنطق باسم صاحبها دليلاً علي اقترافه الجريمة عندما تتطابق مع البصمات الموجودة بجسم الجريمة في الدنيا ، وكذلك ستكون البصمات شاهداً علينا ينطق بالحق ، ولا يرضي عنه بديلاً يوم يخرس اللسان : ﴿ ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ﴾

{ سورة النمل : ٨٥ } ﴿ هذا يوم لا ينطقون ﴾ { سورة المرسلات : ٣٥ }

﴿ اليوم نختم علي أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ { سورة يس : ٦٥ }

﴿ ويوم يُحْشَرُ أعداءُ الله إلى النار فهم يوزعون ﴾ * حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون * وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون * وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ﴾ { سورة فصلت : ١٩ - ٢٢ } عندما سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الآية ﴿ ما كنا مشركين ﴾ * ، ﴿ ولا يكتُمون الله حديثاً ﴾ قال : (إن الله عز وجل يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم ، وقال المشركون تعالوا نقل : « لم نكن مشركين » فختم الله علي أفواههم فتنتطق أيديهم ، فعند ذلك عرفوا أن الله لا يُكْتَم حديثاً .

﴿ يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتُمون الله حديثاً ﴾ { سورة النساء : ٤٢ }

تميز (١٠٠) صفة لها ، ولكن يكفي عملياً تطابق واتفاق (١٢) صفة من الأشكال واتساع الزاوية وشكلها والصفات الجزئية للخطوط المكونة للبصمة ، وتختلف بصمة كل إصبع عن الآخر ، وتبعاً لنظرية الاحتمالات : أصبح من المؤكد استحالة تطابق شخصين في بصماتهما لحد أن هذا الاحتمال يجوز بنسبة واحد من السبتيون ، والسبتيون رقم يفوق أي تصور حيث يتطلب الحصول عليه أن يشترك سكان الأرض في أن يحصوا بتسلسل الأعداد ١-٢-٣-٤ إلخ لمدة تسعة ملايين سنة ، ويقول فضيلة الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني :

وأعجب شئ بهن الخطوط
فما تحدث في الوري بصمتان
وطبقة إبهامنا ختمنا
يميزنا ما توالي الزمان
أناملنا من بديع الفنون
يقصرعن وصفهن البيان

وصدق الله العظيم إذ يقول في محكم آياته :

﴿ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾ * بلى قادرين على أن نسوي بنانه ﴿

{ سورة القيامة : ٣ - ٤ }

ولهذا فلا غرابة أن يكون البنان إحدي آيات الله التي وضع فيها أحد أسرار خلقه ، والتي تشهد علي الشخص بدون

وفي سنة ١٩٥٢ حصلت علي الماجستير من جامعة « برنستون » الأمريكية ، وعُينت أستاذاً بكلية اللاهوت في « أسيوط » ، وكنت أقوم بتدريس الإسلام ، والمغالطات ، والافتراءات ، والشائعات التي يرددها أعداؤه ، والمبشرون ضده .. وقد رأيت في هذه الفترة أن أوسع دراستي لكل جوانب الإسلام ، وقررت ألا أكتفي بالاطلاع علي كتب المبشرين والمستشرقين التي تقتصر علي الطعن في الإسلام ، ولثقتي بنفسي وحيي للعلم قررت أن أقرأ وجهة النظر الأخرى ، وأدرس كتب المسلمين أنفسهم ، بل قررت أن أدرس القرآن بتعمق .

أردت أن أقهر القرآن ،

نقهرني القرآن

وكان هدفي من هذا كله : أن أصبح متمكناً من مادتي تماماً ، بحيث أستطيع دفع الحجة بالحجة ، وأكون قادراً علي أن أضيف إلي حجج المبشرين ضد الإسلام حججاً جديدة من خلال دراستي وتعمقي .. لكن النتيجة في الواقع كانت عكسية ، فقد بدأ موقفي يهتز ، وبدأت أشعر بصراع داخلي عنيف بيني وبين نفسي ، واكتشفت أن ما درسته من قبل ، وما كنت أبشر به وأقوله للناس كله زيف وكذب ، لكنني لم أستطع مواجهة نفسي ، وحاولت التغلب علي هذه الأزمة الداخلية

الالتحاق بكلية اللاهوت بالأمر السهل ، ولا يستطيع أي حاصل علي الدبلوم أن يلتحق بهذه الكلية ، بل لا بد من تزكية الكنيسة ، واجتياز عدد من الاختبارات الدقيقة ، ولقد حصلت علي تزكية كنيسة العطارين بالإسكندرية ، كما حصلت علي تزكية المجمع الكنسي للوجه البحري ، بعد إجراء اختبارات عديدة ودقيقة للتعرف علي مدي استعدادي لأن أصبح « رجل دين » .. ثم حصلت علي تزكية المجمع « السنودس » وهو يقيم مجموعة قساوسة من السودان ومصر ، ويعتبر كمؤتمر ديني عام ، وقد قرر « السنودس » الموافقة علي دخولي كلية اللاهوت سنة ١٩٤٤ بالقسم الداخلي ، ودرست علي يد أساتذة أمريكيين ومصريين ، وتخرجت في عام ١٩٤٨ .

وقد كان المفروض أن أعين في « القدس » .. لكن حرب فلسطين نشبت في ذلك العام ، فعينت في بلدة « إسنا » بالوجه القبلي في مصر ، وسجلت رسالة في العام نفسه عن طريق الجامعة الأمريكية في القاهرة ، وكانت رسالتي عن « العمل التبشيري بين المسلمين » .. وقد بدأ تعرفي علي الإسلام من خلال دراستي في كلية اللاهوت ، فنحن في هذه الكلية ندرس الإسلام ، وكل الأساليب التي نستطيع من خلالها زعزعة إيمان المسلمين ، وتشكيكهم فيه .

والاستمرار في عملي .

وفي سنة ١٩٥٤ نقلت إلي « أسوان » سكرتيراً عاماً للإرسالية الألمانية السويسرية ، وكانت هذه وظيفة صورية ، أما حقيقة مهمتي فكانت التبشير ضد الإسلام في الصعيد الأقصى وخاصة بين المسلمين .

وأشرقت أرض قلبي بنور ربها

وفي تلك الأثناء عقد مؤتمر تبشيري في فندق « كترأكت » بأسوان ، ودعيت للكلام فيه ، وتكلمت يومها كثيراً ، ورددت كل المطاعن المحفوظة ضد الإسلام .. وبعد أن انتهيت من كلامي عاودتني أزميتي الذاتية، وبدأت في مراجعة موقفي مرة أخرى ، وعدت أسأل نفسي : « لماذا أقول هذا وأفعله وأنا أعلم أنني كاذب ، وأن هذا الذي أقوله ليس هو الحق ؟ » ، واستأذنت قبل انتهاء المؤتمر ، وخرجت وحدي متجهاً إلي بيتي . كنت مهزوزاً متأزماً للغاية ، وكنت أسير في « حديقة فريال » ، واستمعت ساعتها للآية الكريمة : « قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً * يهدي إلى الرشد فأما به ولن نشرك بربنا أحداً .. » (الجن : ١ - ٢) .

إلي قوله تعالى : « وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً .. » (الجن : ١٣) .

في تلك الليلة شعرت براحة نفسية عميقة .. عدت إلي بيتي ، وقضيت الليل كله وحدي في المكتبة أقرأ القرآن ، وسألتني زوجتي عن سر سهرتي ، وعما أقرأ ؟ فطلبت إليها أن تتركني وحدي ، ولقد وقفت طويلاً عند الآية الكريمة : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله .. » { الحشر : ٢١ } . كما وقفت طويلاً أتأمل معني الآية الكريمة :

« لتجدن أشد الناس عدواةً للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون * وإذا سمعوا ما أنزل إلي الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون : ربنا آمنا فاكتمنا مع الشاهدين * وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين * » { المائدة : ٨٢ - ٨٤ } .

وكذلك قوله تعالى : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون * » { الأعراف : ١٥٧ } .

يعاملني علي أنني مسلم ، لأنني قدمت نفسي إليه كمسلم رغم أنني لم أكن قد أشهرت إسلامي بعد .. كان هو الدكتور « محمد عبد المنعم الجمال » الذي كان وكيلًا لوزارة الخزانة ، وكان مهتمًا بالدراسات الإسلامية، وكان يريد إعداد ترجمة لمعاني القرآن لينشرها في أمريكا، وقد استعان بي لإتقاني اللغة الإنجليزية ولأنني حاصل علي الماجستير من جامعة أمريكية ، وعرف أيضاً أنني أقوم بعمل دراسة مقارنة للقرآن، والتوراة، والإنجيل، وقد تعاوناً معاً في هذه الدراسة ، وفي ترجمة القرآن ، ولما عرف أنني استقلت من عملي في « أسوان »، وأنني لا أعمل ، ساعدني علي إيجاد عمل في شركة « ستاندارد ستيشنري » في القاهرة. وهكذا استقرت أموري في ذلك الوقت ، ولم أكن أتحدث مع زوجتي في موضوع إشهار إسلامي ، فأعتقدت أنني نسيت هذه الحكاية ، وأنها أزمة ، وانتهت.. لكنني كنت أعرف أن إشهار إسلامي رسمياً يحتاج إلي إجراءات طويلة معقدة ومعركة رأيت أن أؤجلها إلي وقت لاحق ، حتي تستقر أموري ، وحتى أنتهي من دراستي المقارنة للقرآن والإنجيل والتوراة ، وقد انتهت منها فعلاً في عام ١٩٥٩، كما أن أموري المادية والمعيشية كانت قد استقرت حيث كنت قد استقلت من الشركة ، وأنشأت

والآية الكريمة : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ { الأعراف : ١٥٨ } .

القرار الحاسم

في تلك الليلة اتخذت قراري النهائي.. وفي الصباح تحدثت مع زوجتي، وكان لي منها ثلاثة أولاد وبنات ، لكن زوجتي بمجرد أنها سمعت أنني ميال للإسلام ، وأفكر في إشهار إسلامي ، صرخت ، واستغاثت برئيس الإرسالية « مسيو شافتز » وهو سويسري ، وكان رجلاً داهية ، وقد سألتني عن حقيقة موقعي ، فأكدت له ما أخبرته به زوجتي ، فقال لي: « اعتبر نفسك موقوفاً عن العمل حتي نري حقيقة ما أصابك » ، فقلت له: « بل هذه هي استقالتي من عملي » .. حاول أن يقنعني بتأجيلها ، ولكنني صممت عليها ، فأشاع في الناس أنني أصبتُ بالجنون ، وتعرضت وقتها لمحنة شديدة واضطهاد عظيم ، فاضطرت لترك « أسوان » نهائياً والعودة إلي القاهرة .

كيف أعلنت إسلامي ؟

وفي القاهرة تعرفت علي أستاذ فاضل ساعدني كثيراً علي اجتياز محنتي دون أن يعرف شيئاً عن قصتي ، وكان

مكتباً تجارياً لاستيراد الأدوات الكتابية ، ونجحت فيه ، ووهبني الله رزقاً حلالاً كان يكفيني ، ويزيد عن حاجتي .

وقررت حينئذ أن أشهر إسلامي رسمياً، وفي يوم ٢٥ / ١٢ / ١٩٥٩ أرسلت برقية للدكتور « طومسون » رئيس الإرسالية الأمريكية في مصر ، أخبرته فيها بأنني اعتنقت الإسلام ، كما تقدمت في اليوم نفسه بطلب إلي محافظة القاهرة لاتخاذ الإجراءات الرسمية لإشهار إسلامي، وأخبرت صديقي الدكتور « الجمال » بالأمر، وقصصت عليه قصتي كاملة لأول مرة ، فذهل .

وبدأت المعركة الحقيقية

أما معركتي الحقيقية فكانت قد بدأت، إذ يقضي نظام المحافظة علي أي مسيحي يريد أن يشهر إسلامه أن تنتدب الكنيسة التي يتبعها أحد القساوسة للحضور أمام لجنة المحافظة التي تعقد له جلسة مناقشة علنية بحضور القسيس ، فإذا تأكدت اللجنة من صدق نيته ، وإصراره علي إشهار إسلامه برضي كامل ودون أية مؤثرات ، أو عوامل غير طبيعية فإنها تحرر محضراً رسمياً بذلك ، وتعطيه شهادة بإشهار إسلامه .

بالنسبة لي عندما أرسلت طلبي للمحافظة ، قامت بإخطار الكنيسة لانتداب أحد القساوسة ، وحددوا لي

جلسة للمناقشة ، ولكن قبل موعد الجلسة بثلاثة أيام عُدت إلي بيتي ، فوجدت سبعة من كبار الشخصيات المسيحية ينتظرونني في البيت .

تحدثوا إلي طويلاً في الأمر ، وبلهجة لينة ، وكثير من الترغيب ، أما أنا فكنت قد انتهيت إلي قرار وتصميم ، فرفضت كل عروضهم ، وقلت لهم : « إنني لو كنت أسعي لمغنم لما آمنت ، وإن عقيدتي وإيماني فوق كل العروض والمغريات » .. فقالوا لي: « كيف تترك دينك ؟ » قلت لهم : « إن الإسلام هو الذروة الدينية التي أرادها الله للإنسانية كافة ، وأنتم تعرفون ذلك » ، فبدأ البعض يهاجم الرسول ﷺ بكلمات نابية، وانقلبوا عليّ بتهديدات ، أولها : أن الزوجة تترك البيت ، فقلت لهم : « الزوجة حرة » ، لكنهم استمروا في تهديدي بالقتل ، فقلت لهم أخيراً : « ماذا تريدون بالضبط ؟ » ، قالوا : « نريدك ألا تذهب لحضور الجلسة في المحافظة ، فيسقط طلبك ، ويعتبر الموضوع منتهياً » .. وكان اليوم يوم أحد، فقلت لهم : « سأفكر » ، وتركوني يائسين. وفي اليوم التالي جاءني قسيس أكبر مني سنًا ، وكانت له صلة وثيقة بي ، وظل يبكي ، فقرأت عليه قوله تعالى : ﴿واذا سمعوا ما أنزل إلي الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آتينا مع الشاهدين ﴾ وما

٩ - اعرف عدوك : إسرائيل عقيدة وسياسة .

وأقوم الآن بإعداد دراسة مقارنة لوضع المرأة في الأديان الثلاثة ، وإبراز مكانة المرأة في الإسلام ... هذا وقد حججت إلي بيت الله في عام ١٩٧٣ ، وأديت مناسك العمرة مرتين ، وأقوم بنشاط واسع في الدعوة للإسلام ، وأجري ندوات في الجامعات ، والمساجد ، والجمعيات الخيرية ، وقد جاءني دعوة من «السودان» في عام ١٩٧٤ ، وأحييت عدة ندوات في «السودان» .. وعموماً فإن أوقاتني كلها مكرسة لخدمة الإسلام ، وأرجو الله أن يهدي بي من لم يهتد بعد .

لماذا أسلمت ؟

قلت للأستاذ «إبراهيم خليل» : أريد أن تحدثني عن العناصر الأساسية التي استوقفتك في الإسلام ، وعمقت إيمانك به قال :

معجزة القرآن المجيد

إن الإيمان لا بد أن ينبع من القلب أولاً ، والواقع أن إيماني بالإسلام تسلسل إلي قلبي خلال فترات طويلة ، منذ بدأت دراستي للإسلام في كلية اللاهوت ، ومن قراءتي للقرآن ، ودراستي لتاريخ الرسول ﷺ ودعوته أيقنت أنه نبي مرسل من عند الله ، وبدأت قناعتني بما كانوا يقولونه لنا من أنه مدّع ، أو أنه كاذب ، بدأت

أجانب ، لكنني لم أهتز ، وقررت أن أصرف وقتي وبقية عمري في الدعوة للإسلام والكتابة عنه ، وساعدني علي ذلك أنني عينت في عام ٦١م في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوظيفة سكرتير لجنة الخبراء ، ولجنة إحياء التراث الإسلامي ..

وقد استطعت خلال هذه الفترة من عام ١٩٦١ حتي الآن أن أصدر عدة كتب تكشف عن حقائق الإسلام وعن أساليب المبشرين والمستشرقين ضده ، وكتبي التي نشرتها فعلا هي :

١ - « محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن » وهي الدراسة المقارنة للأديان الثلاثة التي بدأتها في عام ١٩٥٦م ، وانتهيت منها في عام ١٩٥٩ .

٢ - المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي .

٣ - إسرائيل والتلمود .

٤ - « تاريخ بني إسرائيل » وهو من ثلاثة أجزاء ، هي :

أ - إسرائيل فتنة الأجيال .

ب - إسرائيل في العصور القديمة .

ج - إسرائيل في العصور الحديثة .

٥ - الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية .

٦ - المسيح إنسان لا إله .

٧ - الإسلام في الكتب السماوية .

٨ - المخطط التبشيري والاستعمار .

الفلسفة ، ويعمل أستاذاً في جامعة السوربون بباريس في قسم الدراسات الشرقية ، ويقوم بتدريس علم النفس ، وله كتابات في مجلة « لوموند » الفرنسية .

أما زوجتي فقد غابت ست سنوات عن البيت ، ثم وافقت علي العودة إلي في سنة ١٩٦٦ ، علي أن تتمسك بدينها ، ووافقتها لأن الإسلام دين سماحة ، ولا إكراه في الدين ، وقلت لها : « أنا لا أريدك أن تسلمي لإرضائي أو لتبعيتي ، ولكن عن اقتناع وإيمان » ، والواقع أنها الآن تشعر في أعماقها وقرارة نفسها بالإيمان ، لكنها لا تستطيع إعلان ذلك خوفاً من عائلتها ، ولكنها تتعامل معنا كمسلمة ، بل تصوم رمضان معنا ، لأن أولادي جميعاً يصومون ، ويصلون ، وابنتي «نجوي» في كلية التجارة ، و«يوسف» دكتور صيدلي ، و«جمال» مهندس .

فارس في ساحة الدعوة

لا أريد أن أشرح تفاصيل ما تعرضت له من اضطهاد ومتاعب ، وخاصة من جانب أهلي الذين قاطعوني ، وحاولوا قتلي ، كما أنني اضطررت لتصفية أعمال مكتبي ، لأن كل البيوتات التجارية التي كنت أتعامل معها في الخارج تضافرت علي مقاطعتي وعدم التعامل معي ، وجميع أصحاب هذه البيوتات

لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين»

{ المائدة : ٨٣ - ٨٤ }

وقلت له : «أولي بك أن تبكي خشوعاً لله عند سماع القرآن ، وأن تؤمن بالحق الذي تعرفه وتنكره » ، فقام ، وتركني بعد أن يئس وأدرك أن لا فائدة .

وعندما ذهبت إلي جلسة المحافظة علمت أنه هو المكلف بحضور الجلسة ، لكنه أرسل يعتذر عن عدم الحضور بسبب المرض ، ويطلب تأجيل الجلسة .. وظل يتغيب عن الجلسة بحجة المرض ، ويقصد التعطيل ، لكن اللجنة كان من حقها أن تشهر إسلامي إذا تغيب القسيس أكثر من جلستين ، وفعلاً وافقوا علي إشهار إسلامي ، وكان ذلك في يناير ١٩٦٠م .

إسلام أولادي ، وموقف زوجتي

ولما سئل الأستاذ «إبراهيم خليل أحمد» عن موقف زوجته قال : في ذلك الوقت تركتني زوجتي ، وأخذت أثاث البيت ، لكن أولادي جميعهم انضموا إلي صفي ، وأشهروا إسلامهم ، وكان أكثرهم حماساً ابني الكبير «إسحق» الذي غير اسمه إلي «أسامة» ، ثم ابني «يوسف» ، وبقي اسمه علي ما هو عليه ، وابني «صموئيل» الذي أصبح اسمه «جمالاً» ، ثم ابنتي «ماجدة» ، وسميها «نجوي» .. و«أسامة» اليوم دكتور في

واحداً يمكن أن يقنعني أن محمداً هذا الإنسان الأمي الفقير البسيط يستطيع وحده أن يؤلف هذا القرآن ، ويحدث كل تلك الثورة التي غيرت تاريخ العالم ، ولا تزال .

وهل يمكن أن تبلغ بلاغة أي إنسان أو قدرته علي مناقشة الآخرين لدرجة التي يقول معها : « وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملكٌ فيكون معه نذيراً* » أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً* انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوها فلا يستطيعون سبيلاً* تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً* بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً* { الفرقان : ٧ - ١١ }

هررتنى عقيدة التوحيد

استوقفني كثيراً نظام التوحيد في الإسلام ، وهو من أبرز معالم الإسلام « ليس كمثله شيء » و « قل هو الله أحد الله الصمد » إن التوحيد يجعلني عبداً لله وحده لست عبداً لأي إنسان ، التوحيد في الإسلام يحرر الإنسان ، ويجعله غير خاضع لأي إنسان ، وتلك هي الحرية الحقيقية فلا عبودية إلا لله وحده .

قناعتي بهذا الكلام تهتز ... فكيف لرجل أمي لم يتعلم أبداً أن يأتي بهذا القرآن الذي بلغ حد الإعجاز ، ومازال حتي الآن ، وسيبقى إلي الأبد معجزة ، إذ لا يمكن لبشر مهما أوتي من مهبة أن يأتي بآية واحدة منه ؟ ثم هذا النظام المحكم الذي عالج كل قضايا الدين والإيمان والحياة بمنطق علمي فوق كل علم ، وفوق كل تصور بشري ، هل يمكن لبشر أن يأتي بهذا كله من عنده ؟!

ثم قال : إن البداية تنطلق طبعاً من هذا التفكير ، والسؤال الذي يجب أن يطرحه كل مفكر في هذا الأمر هو هذا : هل يمكن لمحمد الرجل الأمي أن يؤلف هذا القرآن من عنده بما فيه من إعجاز في الأسلوب ، وإعجاز في التفكير ، وشمول موضوعي لكل قضايا الدين والدنيا ، وهو الأمر الذي يعجز عنه أي مفكر ، مهما بلغت درايته وعبقريته وسعة أفقه ؟ وقد يكون ممكناً أن يأتي مفكر بنظام معين في الاقتصاد ، أو بنظرية في الاجتماع ، أو في الفلسفة ، أو في العلوم أو اللاهوت ، لكن أن يأتي مفكر واحد بنظام شمولي يجمع كل هذه الجوانب ، وفي كتاب محكم شامل معجز ، فهذا فوق طاقة وقدرة أي بشر علي مر كل العصور .

أنر رسول الله ﷺ علي البشرية

كنت دائماً أقرأ القرآن الكريم ، وأقرأ تاريخ الرسول ﷺ ، وأحاول أن أجد أساساً

لا وساطة .. لا سكوك غفران ..

لا كراسي اعتراف

أما نظام الغفران في الإسلام فالقاعدة الأساسية للإيمان تقوم علي الصلة المباشرة بين العبد وربه :

« قل يا عبادي الذين أسرفوا علي أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم* » وأنبيوا إلي ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون* واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون* .

{ الزمر : ٥٣ - ٥٥ } .

فالإنسان في الإسلام يتوب إلي الله وحده ، لا وجود لوسطاء ، ولا لصكوك غفران ، أو كراسي اعتراف ، لأن العلاقة مباشرة بين الإنسان وربه .

تكريم الإسلام للمرأة :

كذلك استوقفني كثيراً موقف الإسلام من المرأة ، فالإسلام أعطي المرأة مكانة لم تحظ بها في أي ملة أو دين غيره ، لقد أعطاه الإسلام حقوقاً كأم و بنت وزوجة ، كما أعطاه سيادة ، استمع إلي الآية

الكريمة التي تقول : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون* » { الروم : ٢١ } فالعلاقة بين الرجل والمرأة علاقة مودة ورحمة ، والاتحاد بين الرجل والمرأة آية من آيات الله تعالي ، وليس هناك تكريم للمرأة مثل هذا التكريم في أي دين من الأديان ، فالمرأة في الديانة اليهودية تعتبر مجرد متعة ، ولا حق لها ولا قيمة ، وفي النصرانية تعتبر المرأة هماً ومعطلا للرجل عن العبادة ، وانفصال المرأة عن زوجها في المسيحية يمنعها من الزواج ، وهذا يعرضها للفتنة ، إن نظرة الإسلام للمرأة تأتي في نطاق بناء متكامل لمجتمع حر عادل ليس فيه عبودية ، ولا طغيان ، ولا إكراه ، ولا كهنوت ، ولا وسطاء يستغلون الناس باسم الدين ، أو باسم الدنيا .

وعلي العموم لو أردت أن أتحدث عما جعلني أعتنق الإسلام لاحتاج الأمر لمجلدات أتحدث فيها عن كل ما في الإسلام من مزايا ، لكنني أكتفي بقسولي : « الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله » (١) .

(١) (الأعراف : ٤٣) ، وانظر : رجال ونساء أسلموا ، (٧٨ / ٤ - ٩٤) .

هل أسلم الملك «أوفا» ؟

اسم الكتاب : عصر «أوفا» ملك إنكلترا الأنجلوساكسوني (٧٥٧ - ٧٩٦ م)
المؤلف : دكتور « مصطفى حسن محمد الكناني » أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد - كلية الآداب - جامعة « أسيوط »
توزيع : منشأة المعارف بالإسكندرية .
عرض وتلخيص : محمد الكفراوي

مكانة الملك «أوفا»

يُعدُّ الملك «أوفا» - ملك مرسيا الأنجلوساكسوني - واحداً من أعظم ملوك أوربا ، وأكثرهم شهرة في القرون الوسطى ، فقد استطاع علي امتداد فترة ملكه التي امتدت تسعة وثلاثين عاماً (٧٥٧ - ٧٩٦م) أن يخرج مملكته Mercia عن عزلتها . لقد كان لأوفا دور حضاري وأثر فعال في وضع نواة نهضة الأمة الإنكليزية ، فلم يكن رجل حرب وسياسة فحسب ، بل كان رجل دولة بارعاً ، ومنظماً فريد الطراز ، اهتم بالنظام المالي والاقتصادي ، ورفع مستوي الإنكليز الثقافي والاجتماعي ، وكانت عنايته بالجيش فائقة ، حيث امتلك قوة ضاربة حقق بها توحيد الممالك الأنجلوساكسونية تحت قيادته لأول مرة في التاريخ ، فبلغت في عصره مكانة سامية تمتعت فيها بالثروة

والأمن نتيجة مشروعاته الاقتصادية والعمرانية (١) ، فاستحق عن جدارة لقب «ملك كل بلاد الإنكليز» .
إن انجازاته الرائعة في شتي المجالات ، بجانب اشتهاره بالعدل وطيبة القلب حققت له شهرة واسعة ، ومكانة سامية ، فقد تخطي حدود بلاده ، وترك بصمات قوية علي مجريات أمور السياسة الأوروبية في أخريات سني عمره ، من أجل هذا كان «البابا» ، و«شارلمان» (٢) الملقب بالعظيم يهابانه ، ويتوددان إليه ، ويدهانانه رغم كراهيتهما الشديدة له . (١)

غموض موقف المؤرخين

الغربيين من «أوفا»

لم ينل تاريخ الملك «أوفا» حقه في الدراسات التاريخية ، واقتصر المؤرخون

الغربيون المعنيون بتاريخ الجزيرة البريطانية علي إيراد إشارات متناثرة هنا وهناك ، وبينما مرَّ بعض المؤرخين المهتمين بتاريخ إنكلترا الأنجلوساكسوني بعصر «أوفا» مرور الكرام ، أهمل الإشارة إليه تماماً فريق آخر منهم .

أضف إلي هذا أن جميع وثائق عصره - دون غيره من الملوك الإنكليز - قد اختفت!

كما يلاحظ أن كافة المصادر والوثائق المعاصرة والمتأخرة زمنياً بصفة خاصة ، وأغلب المراجع والموسوعات ، والمعاجم المتخصصة بصفة عامة قد أهملت الإشارة إلي أهم وأندر العملات في تاريخ أوروبا الوسيط ، والتي أصدرها الملك «أوفا» ، أعني ديناره المشهور الذي نقش عليه اسمه بالحروف اللاتينية مصحوباً بعبارات التوحيد الإسلامية: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له - محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره علي الدين كله» الأمر الذي حدا ببعض الناس أن يجزم بأن «أوفا» اعتنق الإسلام بناء علي هذا الدينار (٢) .

يقول الدكتور «الكناني» معلقاً علي موقف المؤرخين الغربيين الغامض من عصر «أوفا»: «قد يُعزي هذا إما إلي عدم إلمامهم بالموضوع تمام الإلمام ، أو تعمدهم إهمال هذا الجانب لتصوير الأحداث من وجهة نظر صليبية محضة ، لقد ورطوا أنفسهم في حيرة مصطنعة أداهم إليها خوفهم من ردود فعل الكنيسة المضادة لهم إذا هم خرجوا علي الناس بمثل هذا الرأي ، فهم لم يتحلوا بروح المؤرخ المحايد ، فضلاً عن خبث نواياهم وكراهيتهم الشديدة للإسلام والمسلمين ، اهـ..»

الصراع بين أوفا والبابا

- أصدر الملك «أوفا» عدة قرارات تتلخص في سلب اختصاصات رجال الكنيسة وعلي رأسهم رئيس أساقفة كانتربري الذي جرده من سلطاته تماماً ، وأصدر قراراً بإنشاء أسقفية في «ليتشفيلد» .

- وأصدر عدة قرارات أخرى بلغت من خطورتها حداً جعل البابوية تعتبرها خطراً ماحقاً هدد إنكلترا كلها بالخروج من حظيرة

(١) فقد خاطبه «شارلمان» قائلاً : (.. إن الحفاظ علي روابط الصداقة بين أصحاب الجلالة الملوك ، وأصحاب المقامات الرفيعة أمر حتمي من أجل كفالة السلم ودوام المحبة بينهم) ، وكشفت المصادر التاريخية عن رسالة من «شارلمان» إلي رئيس أساقفة كانتربري ، وأسقف ليندسي ينصحهما فيه (بالتلطف والتودد إلي الملك أوفا) .

(٢) يقول المؤلف الدكتور « مصطفى الكناني » حفظه الله : (وهذا الذي حدا بي إلي عمل دراسة تحليلية لتلك البيانات علي مدي أكثر من ثلاث سنوات ، حصلت خلالها جملة من الوثائق التاريخية ، فضلاً عن صورة الدينار ، والمعلومات التي استمددناها من المسئولين في المتحف البريطاني وغيرهم من المتخصصين) ، ويبيّن المؤلف كذلك أنه اعتصر مادته العلمية من المصادر القديمة فضلاً عن المراجع اللاتينية والإنكليزية القديمة و الحديثة والفرنسية والعربية ، فكان حصاد هذه الجهود سد الثغرات التي واجهته علي امتداد البحث ، وبذا أمكن ربط الموضوع في وحدة متكاملة متناسقة .

(١) ومن مظاهر اهتمامه الشديد بالبناء والتعمير بناؤه «سورأوفا العظيم» Offa's Dyke الذي يعد أعظم عمل إنشائي أقيم علي سطح الأرض في أوربا علي امتداد تاريخها القديم والوسيط ، وكان يمتد من البحر إلي البحر بين «ويلز» و«مرسيا» ، وكان يبلغ طوله ٢٤١ كم تقريباً ، ويرجح المؤلف أن هذا السور قد أقيم لدرء احتمالات الخطر المتوقع قدومه من «ويلز» بتحريض وتخطيط «البابوية» .
(٢) كان «شارلمان» يعد نفسه المدافع عن الملة النصرانية في أوربا الغربية .

العقيدة الكاثوليكية بالضرر ، ودمرت
جهود « أوجسطين » - الملقب بالقدّيس -
السابقة لكثلكة إنكلترا .

يقول المؤلف : (..وتؤكد الشواهد أن
الملك أؤفا مكرماً منه قد هادن البابوية، وأنكر
الشائعات ، ترقباً للفرصة المواتية لإعلان
إسلامه جهاراً نهاراً بعد أن يكون قد مكّن
لدينه الذي ارتضي في بلاده ، فكان لأول
وأخرمرة من نوعها في تاريخ أوربا أن يأمر
ملك مثله بضرب هذا الدينار الفريد صاحب
عبارات التوحيد الإسلامية في تحدّ سافر
للبابوية .

وهنا ، وليأس البابوية عن إثناء « أؤفا »
عن عزمه أو التفاهم معه بالحسنى : خطط
البابا لعزله، بالاتفاق مع كل من
« أيثلبرهت » ملك شرقاً انجلترا ، والبريطانيين
في « ويلز » للقيام بالهجوم علي « أؤفا »
وحصره بين فكي كماشة تطبق عليه من
الشرق والغرب ، لكن شاءت الأقدار أن
تفشل تلك الجهود بانتصار « أؤفا » علي
« أيثلبرهت » ومصرعه اه . ، وتقدير الدور
« أيثلبرهت » وكسباً للمشاعر أصدر البابا
قراراً باعتباره « قدسياً شهيداً » وأمرت
الكنيسة بحفظ جثته في كاتدرائية
« هيرفورد » التي أقيمت تخليداً لذكراه !

ثم حاول « شارلمان » جس نبض « أؤفا »
فعرض عليه تزويج ابنه « شارل » من إحدى
بناته ، لكن « أؤفا » رفض بشدة ، وطالبه
بتزويج ابنته « برثا » من ولده

النصرانية، والتحرر من سلطان البابوية » ،
ومن المرجح أن تلك القرارات المشار إليها
تتلخص في اعتناقه الإسلام وإصداره ديناره
المشهور، وفيه عبارات التوحيد الإسلامية .

- حاول البابا التخلص من « أؤفا » فعقد
تحالفاً مع ملك « كنت » ، وحرّضه علي
مهاجمة « مرسيا » ، لكن « أؤفا » عاجله
بالهجوم ، فهزمه هزيمة ساحقة في بداية عام
٧٨٥ م ، وضم « كنت » إلي مملكته .

- تردد في أوساط الكنيسة الرومانية
شائعات عن سلوك « أؤفا » المعادي للعقيدة
النصرانية، ذلك السلوك الذي « هدد بالخطر
سلطان الكنيسة الرومانية مباشرة ، وأنذر
بإخراجه من إنكلترا » .

- وصلت الشائعات إلي مسامع البابا
« أدريان » فجُن جنونه خوفاً علي الكنيسة
الرومانية ، وعقيدتها الكاثوليكية التي لا
بد أن تكون تأثرت بسبب اعتناق « أؤفا »
الإسلام ، فسارع بإعداد بعثة عاجلة أرسلها
إلي إنكلترا عام ٧٨٦ م (من أجل إعادة
تجديد وتثبيت الإيمان والسلام للذين دعا
إليهما القدّيس « أوجسطين » عام ٥٩٧ م
من قبل) علي حدّ تعبير المصادر التاريخية
التي أجمعت علي تجديد هذا الهدف .

ويستنبط المؤلف من هذا تأكيد
اعتناق « أؤفا » الإسلام ، ومحاولته نشره
في إنكلترا مما أدي إلي ارتداد الكثيرين
عن النصرانية ، وإحداث هزة عنيفة أصابت

أولا : الوجه : هامش : محمد رسول الله أرسله باله
ودين الحق ليظهره علي
الدين كله

مركز : لا إله إلا
الله وحده
لا شريك له

ثانياً : الظهر

هامش : بسم الله
ضرب هذا الدين سنة
سبع وخمسين ومئة
مركز : محمد

REX
رسول
OFA
الله

وقد لوحظ أن كافة المصادر والوثائق
المعاصرة والمتأخرة زمنياً لم تشر ألبتة إلي
هذا الدينار من قريب أو بعيد ، وبالمثل
أهملت دوائر المعارف العلمية والمعاجم
والمراجع المتخصصة الإشارة اليه ، رغم أن
غالبيتها قد أشارت الي عملات الفترة
المبكرة من عصره ، بل إن « بعض »
المعاصرين من المؤرخين رغم أنهم عرب
يلمون بلغة الضاد تفاضوا كلية عن الإشارة
إلي تلك العبارات ، باستثناء بعضهم ممن
أشار إليها لكن مرّ عليها مرور الكرام دون
تعليق يُذكر رغم خطورة

« ايغفيرث » ، فاستشاط « شارلمان »
غضباً ، لدرجة أنه أمر بوقف المفاوضات
وسحب سفارته ، وعودتها علي الفور ،
فضلاً عن إصداره أوامره المشددة بمنع كافة
التجار الإنكليز من دخول جميع مدن
ومواني مملكته للتجارة .

سر الدينار الذهبي

أصدر « أؤفا » بعد بسطه سيادته علي
الممالك الإنكليزية أوامره الصارمة بوقف
استخدام كافة أنواع العملات السائدة في
عصور سابقه ، وأصدر أمراً بسك
عملة - فضية - جديدة متنوعة شكلاً
وحجماً ، ومما يلفت النظر أن العملة في
بداية عصره كانت تحمل علي وجهها صورة
« أؤفا » ، وعلي ظهرها علامة الصليب ، أما
في أخريات عصره فقد اختفت صورته من
وجه العملة، وحل محلها نقش بارز لاسمه كما
اختفي الصليب تماماً من ظهر العملة .

أما العملات الذهبية التي أصدرها الملك
« أؤفا » فقد تمثلت في ذلك الدينار الذهبي
الفريد الذي نُقشَ علي وجهه عبارات
التوحيد الإسلامية ، فضلاً عن نقش اسم
الملك « أؤفا » باللاتينية ، ويلاحظ من
دراسة الدينار جهل ضاربه باللغة العربية
حيث لوحظ عدة أخطاء في نقوش الكتابة
العربية علي الجهتين مما يؤكد أنه قد تم
ضربه في دور السك الخاصة بالملك « أؤفا »
في إنكلترا، وفيما يلي نص كتابات النقوش
العربية واللاتينية علي دينار الملك « أؤفا » :

مدلولاتها (١) مما يجعل المرء يتساءل عما إذا كان هذا الإهمال متعمداً من أجل طمس حقيقة هذا الملك العظيم لاعتناقه الإسلام ؟

والسؤال الآن :

إذا كان « أوفاً » قد اعتنق الإسلام بالفعل، فكيف وصلت إلي مسامعه الدعوة الإسلامية ؟

والجواب : أن الراجح أن يكون ذلك قد تم عن طريق التجار المسلمين ، فإن من المعلوم الثابت أن العلاقات التجارية بين الشرق الأدنى الإسلامي وبين القارة الأوربية عامة، وشمال أوربا وإنكلترا بصفة خاصة كانت وثيقة وقوية ، ومن المعلوم أيضاً أن الملك « أوفاً » قام بتنشيط التجارة ، وكان يقول : « إن أي ملك يريد أن يرفع مستوى معيشة شعبه وتحقيق أمجاده لا بد أن يهتم بالتجارة ويشجعها »

وقد تأكد أن العلاقات التجارية قد ازدهرت فيما بين إنكلترا وبين الخلافة العباسية في تلك الآونة ، وقد حرص « شارلمان » نفسه علي توثيق علاقته التجارية والسياسية مع العباسيين ، وأكدت الوثائق التاريخية قوة علاقة « شارلمان » بـ « هارون الرشيد » ، وتبادل له وإياه السفارات

والهدايا المختلفة ، وحيث كان « أوفاً » منافساً « لشارلمان » ، ونداً له فقد حرص « أوفاً » علي منافسة « شارلمان » في هذا المجال ، مما زاد حركة ونشاط التجار المسلمين في أنحاء المدن والموانئ الإنكليزية الذين لم يكونوا تجاراً فحسب ، بل كانوا دعاة إلي الإسلام حيث حلوا بخلقهم وسلوكهم مما أعطي القدوة الحسنة ، والصورة المشرقة للإسلام والمسلمين ، فلربما حصلت اتصالات مباشرة بين هؤلاء الدعاة من التجار وبين « أوفاً » أدت إلي عرضهم مفاهيم الإيمان والتوحيد الإسلامي ، ونظرة الإسلام إلي رسول الله عيسى وأمه الطاهرة البتول مريم عليهما السلام ، فأمن عن عقيدة واقتناع ، كما حصل مع « النجاشي » ملك الحبشة ، ولعل هذا يكون السبب في رفع شارة الصليب وصورة أوفاً وإحلال شعارات التوحيد الإسلامي محلها ، والله تعالى أعلم.

نهاية الملك « أوفاً »

لم تشر المصادر والوثائق إلي كيفية وأسباب موت الملك « أوفاً » المفاجئ ، وهو في قمة مجده ونفوذه يوم الجمعة (٢٩ يوليو ٧٩٦ م / ١٧ جمادي الأول ١٨٠ هـ) ، وعندما توفي الملك في بلدة « أوفلي » تم نقله إلي بلدة « بيدفورد » الصغيرة حيث

(١) والمسكوكات - كما هو معروف - لها مكانتها كوثيقة يعتد بها في كشف وسبر أغوار حقيقة تاريخ الأمم السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، وكذا عقيدتها الدينية ، وهناك من المؤرخين من يشبه العملة « بالعلم الخاص بالدولة » ، أو بجواز السفر الذي تحمله في جيبك تحسباً لأية ظروف طارئة ، فإذا ما توفي إنسان أثناء سيره بالطريق ، فلا شك أن جواز سفره - بما فيه من بيانات وصورة - سوف يحدد اسم حامله وعنوانه فضلاً عن هويته الدينية (١ هـ من الأصل ص ١٦٢) .

دفن في مصلي صغير داخل مبني متداع ، علي حافة نهر « الأوسك » المشهور بتياراته ، وفيضاناته الجارفة ، وذلك علي خلاف العادة التي جرت فيمن كان يمثل مكانة « أوفاً » وأضرابه من الملوك ، وهي دفنهم في كاتدرائية أو كنيسة العاصمة الكبرى ، مما يرجح القول بأنه اعتنق الإسلام .

يقول الأستاذ الدكتور « مصطفى الكناني » حفظه الله : (.. وهكذا أفادت وأكدت تلك الرواية الغامضة دفن الملك أوفاً بهذه الطريقة المشبوهة في مثل تلك البلدة الصغيرة ، داخل ذلك المكان المجهول ، وليس داخل الكنيسة الكبرى بالعاصمة ، مما يرجح اعتناق هذا الملك العظيم للإسلام ، فكانت المحصلة محاربتة وإثارة النفوس ضده للخلاص منه في الدنيا ، ثم دفنه بعد وفاته بهذه الطريقة المشينة ، انتقاماً منه حتي يزول هو وعقيدته الجديدة ، فتنساه الأجيال المتعاقبة علي مر السنين خشية أن يكون مثالا يحتذى ، فيكون الدمار للكنيسة الإنكليزية هو المحصلة الوحيدة لذكري هذا الرجل هذا ، وقد أشار نفس المصدر - يعني كتاب روجر أوف ويندوفر - إلي أن المقبرة قد أصابها التصدع ، وأتلفها التسوس حتي انهارت مع المبني ، وغارت في أعماق النهر ، بفعل الفيضانات المدمرة علي مر السنين ، فكان أن بُذلت جهود مضيئة من أجل اكتشاف مكان المقبرة ، وإخراج جثة الملك « أوفاً » ، ولكن الأقدار أبت أن تكلل تلك الجهود بالنجاح) (١)

الملك « حنا » علي خطى « أوفاً »

ويستطرد الدكتور « الكناني » قائلاً :

(من الأهمية بمكان التوقف ها هنا لحظة لمناقشة عبارة « روجر أوف ويندوفر » الأخيرة تلك ، لأهميتها فيما نحن بصده من كشف حقيقة اعتناق الملك أوفاً للإسلام ، فالملاحظ أن « روجر أوف ويندوفر » (توفي ٦ مايو ١٢٣٧ م) كان معاصراً للملك حنا (جون) ملك إنكلترا (١١٩٩ م - ١٢١٦ م) ، وصاحب العهد الأعظم (الماجنا كارتا) Magna Carta المشهور ، وهو الذي أصدر أوامره بالبحث عن مقبرة الملك « أوفاً » ، وبأيت جهوده بالفشل كما ذكرنا من قبل نقلاً عن « روجر أوف ويندوفر » ، وهنا نتساءل : لماذا أصدر الملك « حنا » قراره بالبحث عن مقبرة الملك « أوفاً » ؟

الراجح أن الملك « حنا » كان معجباً بشدة بشخصية الملك « أوفاً » ، ولعله قد أحيط علماً بالكثير من أسرار سيرته بعامة وموقفه من الإسلام بطريقة أو بأخرى من كبار رجال القصر وأفراد أسرته وغيرهم من رجال الكنيسة الانكليزية المنصفين بصفه خاصة ، فكان أن أعجب به ، واتخذ مثالا يحتذى ، ومن ثم أصدر قراره السابق الذكر بالبحث عن مقبرته كما أفادنا شاهد العيان « روجر » ، لتكريمه ودفنه في المكان اللائق به .

ولا شك أن البابوية قد هالها قيام « حنا » بهذا العمل الذي اعتبرته معادياً للكنيسة الكاثوليكية ، وخشيت من أن ينقلب إعجاب « حنا » بالملك « أوفاً » إلي اتخاذ نفس الطريق ، واعتناقه الإسلام مثله ، ويبدو أن البابوية قد طالبت « حنا » بالكف عن البحث عن مقبرة « أوفاً » ، ورفع يده عن رجال الكنيسة الإنكليزية ، وعدم تدخله في شئونهم

(١) وحتى بعد موت الملك « أوفاً » لم تهدأ مؤامرات البابا مع « شارلمان » فقد خططا معاً من أجل الزحف إلي « مرسيا » للقضاء علي آخر سلالة « أوفاً » في إنكلترا عن طريق « ايردولف » الذي غزى « مرسيا » بالفعل عام (٨٠١ م) ، ولم تشر المصادر التاريخية إلي أسباب هذا الغزو من قريب ولا من بعيد .

بالعزل والتعيين ، وهددته بالحرمان والعزل ، فلم يعر « حنا » تهديدات البابوية اهتماماً ، وأقسم علي طرد كافة رجال الدين الكاثوليك من إنكلترا ، وجدد أنوفهم ومصادرة أملاكهم ، بل كما يبدو قد هدد البابوية باعتناق الإسلام مثلما فعل الملك « أوف » ، وهنا تميز البابا من الغيظ ، وأصدر قراراً بالفعل بحرمان « حنا » عام ١٢٠٨ م ، فكانت ردود فعل « حنا » عنيفة ، إذ أصدر قرارات تتلخص في مصادرة أملاك الكنيسة والأديرة ، وحبس كبار رجال الدين ، بل يبدو أنه قد ترسم خطي الملك « أوف » فاعتنق الإسلام ، ثم طلب المعونة العسكرية من الموحدين بالاندلس لتعصيده ضد البابوية وأعوانها ، فطار لب البابا « إنوسنت الثالث » (١١٩٨ - ١٢١٦ م) وخشي مغبة ذلك العمل ، فأصدر قراراً جديداً بالحرمان ضد « حنا » عام ١٢١٣ م ، كما قرر عزله ، وطالب الشعب الإنكليزي بمحاربته ، وانتزاع كافة أملاكه ومصادرتها غنيمة له ، ويؤيد ذلك الرأي رواية خطيرة الفحوي أوردها المؤرخ المعاصر « روجر أوف وندوفر » صديق الملك « حنا » المقرب إليه وكاتم أسرارته في حولياته (١) ، فلقد أشار إلي أن الملك « حنا » قد أرسل سفارة سرية إلي أمير المؤمنين الخليفة الموحيدي « محمد الناصر لدين الله » (٢٢ ربيع الأول ٥٩٥ - ٤ شعبان ٦١٠ هـ / ٢٢ يناير ١١٩٩ - ١٩ ديسمبر ١٢١٣ م) في عام (١٢١٢ م / ٦٠٨ هـ - ٦٠٩ هـ) برئاسة كل من الفارسين « توماس هاردنجتون » و« رالف فيتزنجولاس » فضلاً عن أحد كبار رجال الدين المقربين إليه ، المدعو « روبرت أوف لندن » حيث عرضوا علي الخليفة مطالب الملك « حنا » من خلال الرسالة التي سلموه إياها من لدنه ، وتتلخص في إعلان رغبة « حنا » الملحة في « اعتناقه الإسلام هو وشعبه ، وإلحاق إنكلترا بدولة الموحدين » ، ولاشك أن تلك الرواية

الخطيرة الفحوي تؤكد مدي صحة ما وصلنا إليه بخصوص ترجيح اعتناق الملك « أوف » الإسلام بدليل إخفاء البابوية مكان دفنه ، وطمس معالم تاريخه ، ومحاولات « حنا » كشف مكان الدفن لإحياء ذكره فحسب ، بل تؤكد أيضاً إعجاب الملك « حنا » الشديد بالملك « أوف » ، وترسمه خطاه ، ومحاولته هو أيضاً اعتناق الإسلام ، وتلك قضية أخرى لا زالت في حاجة إلي المزيد من الأبحاث والدراسات المتأنية والمستفيضة .

مهما يكن من أمر ، وعلي ضوء ما سبق ، لعنا نكون قد أكدنا ما وصلنا إليه بشأن ترجيح اعتناق الملك « أوف » الإسلام ، ومن ثم قيامه بالمحاولة الأولى من نوعها في تاريخ أوربا الوسيط بإعلان الإسلام ديناً رسمياً له (ولشعبه) ثم نقل الدكتور مصطفى الكنعاني عن Moiniddin مؤلف كتاب « هل اعتنق الملك أوف دين الإسلام » المطبوع في لندن النص التالي : (... وعندما سألت الكثير من الشخصيات الإنكليزية ، الذكور والإناث علي حد سواء ، أجمعوا علي اعتناق « أوف » الإسلام ، وعزوا ندرة الوثائق إلي تدمير الكنيسة الإنكليزية لها بسبب اعتناقه الإسلام ، وأدأ لها وطمساً لمعالم تاريخه منذ البداية » اهـ (٢) .

وقبل أن أودعك أخي القارئ أقدم هذا السؤال البرئ إلي المسئولين في المتحف البريطاني بلندن : (لقد اعتدتم أن تعرضوا دينار الملك « أوف » الذهبي في متحفكم للناظرين ، فما هو السر ياترى في إخفائكم هذا الدينار مؤخراً ومنع عرضه للزائرين ؟) .

وآخر دعوانا : « أن الحمد لله رب العالمين »

(١) وقد عزل « روجر » من منصبه بعد وفاة الملك « حنا » عام ١٢١٦ م مباشرة

(٢) (Did King Offa Accept the Faith of Islam ?) ص (١ - ٢)